سُورَةُ النَّحْلِ

مَكِّيَّةٌ، غَيْرُ ثَلاَث آيَاتٍ فِي آخِرِهَا

وَتُسَمَّىٰ سُورَةُ النِّعَم، وَهِيَ مَائَة وَثَمَان وَعِشْرُون آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الكَهْفِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١)﴾

كانوا يستعجلون ما وعدوا من قيام الساعة أو نزول العذاب بهم يوم بدر؛ استهزاء وتكذيباً بالوعد، فقيل لهم: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾: الذي هو بمنزلة الآتي الواقع، وإن كان منتظراً لقرب وقوعه، ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: روي أنه لما نزلت: (اقتربت الساعة) قال الكفار فيما بينهم: إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت، فأمسكوا عن بعض ما تعملون حتى ننظر ما هو كائن، فلما تأخرت قالوا: ما نرى شيئاً؛ فنزلت: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾، فأشفقوا وانتظروا قربها، فلما امتدت الأيام قالوا: يا محمد، ما نرى شيئاً مما تخوفنا به؛ فنزلت: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾، فوثب رسول الله ﷺ ورفع الناس رءوسهم؛ فنزلت: ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾: فاطمأنوا، وقرئ: «تستعجلوه»: بالتاء والياء، ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾: تبرأ ـ عزّ وجلّ ـ عن أن يكون له شريك، وأن تكون آلهتهم له شركاء، أو عن إشراكهم، على أنّ «ما»: موصولة أو مصدرية.

فإن قلت: كيف اتصل هذا باستعجالهم؟

قلت: لأنّ استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك، وقرئ: «تشركون»: بالتاء والياء.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)﴾

قرئ: (ينزل): بالتخفيف والتشديد، وقرئ: (تنزل الملائكة) أي: تتنزل، ﴿بِالرُّوحِ مِنْ

﴿أَمْرِهِۦ﴾: بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه، أو بما يقوم في الدين مقام الروح في الجسد، و﴿أَنْ أَنذِرُوٓا۟﴾: بدل من الروح، أي: ينزلهم بأن أنذروا، وتقديره: بأنه أنذروا، أي: بأن الشأن أقول لكم أنذروا، أو تكون «أن»: مفسرة؛ لأنّ تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول، ومعنى أنذروا: ﴿أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠﴾: اعلموا بأنّ الأمر ذلك، من نذرت بكذا إذا علمته، والمعنى: يقول لهم: أعلموا الناس قولي لا إله إلا أنا ﴿فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾

ثم دلّ على وحدانيته وأنه لا إله إلا هو بما ذكر، مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان وما يصلحه، وما لا بدّ له منه من خلق البهائم لأكله وركوبه وجرّ أثقاله وسائر حاجاته، وخلق ما لا يعلمون من أصناف خلائقه؛ ومثله متعال عن أن يشرك به غيره، وقرئ: «تشركون»: بالتاء والياء، ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾، فيه معنيان:

أحدهما: فإذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة، بعد ما كان نطفة من منيّ جماداً لا حس به ولا حركة؛ دلالة على قدرته.

والثاني: فإذا هو خصيم لربه، منكر على خالقه، قائل: من يحيي العظام وهي رميم؛ وصفاً للإنسان بالإفراط في الوقاحة والجهل، والتمادي في كفران النعمة، وقيل: نزلت في أبيّ بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أترى الله يحيي هذا بعدما قد رمّ؟ (٨٢٥).

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ﴾/ ١٩٠أ: الأزواج الثمانية، وأكثر ما تقع على الإبل، وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر، كقوله: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ﴾ [يس: ٣٩]، ويجوز أن يعطف على الإنسان، أي: خلق الإنسان والأنعام، ثم قال: ﴿خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ﴾ أي: ما خلقها إلا لكم ولمصالحكم يا جنس الإنسان، والدفء: اسم ما يدفأ به، كما أنّ الملء اسم ما يملأ به، وهو الدفاء من لباس معمول من صوف أو وبر أو شعر، وقرئ: «دفّ»: بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على

---

٨٢٥ ـ قال الحافظ:

سيأتي في سورة يس. انتهى.

الفاء، ﴿وَمَنَٰفِعُ﴾ هي: نسلها ودرّها وغير ذلك.

فإن قلت: تقديم الظرف في قوله: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ مؤذن بالاختصاص، وقد يؤكل من غيرها.

قلت: الأكل منها هو الأصل[1] الذي يعتمده الناس في معايشهم، وأما الأكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتدّ به وكالجاري مجرى التفكه، ويحتمل أن طعمتكم منها؛ لأنكم تحرثون بالبقر فالحبّ والثمار التي تأكلونها منها وتكتسبون بإكراء الإبل وتبيعون نتاجها وألبانها وجلودها.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۝٦﴾

منّ الله بالتجمل بها كما منّ بالانتفاع بها؛ لأنه من أغراض أصحاب المواشي، بل هو من معاظمها؛ لأنّ الرعيان إذا روّحوها بالعشي وسرحوها بالغداة ـ فزينت بإراحتها وتسريحها الأفنية، وتجاوب فيها الثغاء والرغاء[2] ـ أنست أهلها وفرحت أربابها، وأجلتهم في عيون الناظرين إليها، وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس؛ ونحوه: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾ [النحل: ٨]، ﴿يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦].

فإن قلت: لم قدّمت الإراحة على التسريح؟

قلت: لأنّ الجمال في الإراحة أظهر، إذا أقبلت ملأى البطون حافلة الضروع، ثم أوت إلى الحظائر حاضرة لأهلها، وقرأ عكرمة: «حينا تريحون وحينا تسرحون»: على أن (تريحون وتسرحون): وصف للحين، والمعنى: تريحون فيه وتسرحون فيه؛ كقوله تعالى: ﴿يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ﴾.

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝٧﴾

قرئ: «بشق الأنفس»: بكسر الشين وفتحها، وقيل: هما لغتان في معنى المشقة، وبينهما فرق: وهو أن المفتوح مصدر شق الأمر عليه شقًّا، وحقيقته راجعة إلى الشق الذي هو الصدع، وأما الشق فالنصف، كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد.

---

(١) قال محمود: «إن قلت لم قدم المجرور وأجاب بأن الأكل منها هو الأصل... إلخ»؟ قال أحمد: ومدار هذا التقرير على أن تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكأنه قال وإنما تأكلون منها.

(٢) قوله: «وتجاوب فيها الثغاء والرغاء» الثغاء صوت الشاء والمعز وما شاكلهما. والرغاء صوت ذوات الخف، كذا في الصحاح.

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾: كأنهم كانوا زماناً يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الإبل أثقالهم.

قلت: معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الإبل إلا بجهد أنفسكم، لا أنهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة.

فإن قلت: كيف طابق قوله: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ﴾ قوله: (وتحمل أثقالكم)، وهلا قيل: لم تكونوا حامليها إليه[1]؟

قلت: طباقه من حيث إن معناه: وتحمل أثقالكم إلى بلد بعيد قد علمتم أنكم لا تبلغونه بأنفسكم إلا بجهد ومشقة، فضلاً أن تحملوا على ظهوركم أثقالكم، ويجوز أن يكون المعنى: لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس، وقيل: أثقالكم أجرامكم، وعن عكرمة: البلد مكة، ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح.

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ﴾: عطف على الأنعام، أي: وخلق هؤلاء للركوب والزينة، وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بأن علل خلقها بالركوب والزينة، ولم يذكر الأكل بعد ما ذكره في الأنعام.

فإن قلت: لم انتصب ﴿وَزِينَةً﴾؟

قلت: لأنه مفعول له، وهو معطوف على محل لتركبوها.

فإن قلت: فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد[2]؟

---

(١) قال محمود: «إن قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل أثقالكم... إلخ»؟ قال أحمد: ويحتمل أن يكون المراد تحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه بها إلا بشق الأنفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لأن العادة أن المسافر لا يستغني عن أثقال يستصحبها والمعنى الأول أعلى، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سن واحد... إلخ»؟ قال أحمد: يعني فجاز أن ينتصب مجرداً من لام التعليل لأنه فعل فاعل الفعل الأول، ويعينه اقتران الركوب باللام لأنه فعل المخاطبين، ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام، وفي هذا الجواب نظر، فإن لقائل أن يقول: كان من الممكن مجيئهما معاً باللام فيأتيان على سنن واحد. ولا غرو في ذلك فالسؤال قائم، والجواب العتيد عنه: أن المقصود المعتبر الأصلي في هذه الأصناف هو الركوب. وأما التزين بها فأمر تابع غير مقصود قصد الركوب «فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة التعليل، تنبيهاً على أنه أهم الغرضين وأقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيهاً على تبعيته أو قصوره عن الركوب، والله أعلم.

قلت: لأنّ الركوب فعل المخاطبين، وأما الزينة: ففعل الزائن وهو الخالق، وقرئ: «لتركبوها زينة»: بغير واو، أي: وخلقها زينة لتركبوها، أو تجعل زينة حالاً منها، أي: وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال، ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾: يجوز أن يريد به: ما يخلق فينا ولنا مما لا نعلم كنهه وتفاصيله ويمنّ علينا بذكره كما منّ بالأشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته، ويجوز أن يخبرنا بأن له من الخلائق ما لا علم لنا به، ليزيدنا دلالة على اقتداره بالإخبار بذلك، وإن طوى عنا علمه لحكمة له في طيه، وقد حمل على ما خلق في الجنة النار، مما لم يبلغه وهم أحد، ولا خطر على قلبه.

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾

المراد بالسبيل: الجنس؛ ولذلك أضاف إليها القصد وقال: (ومنها جائر)، والقصد مصدر بمعنى: الفاعل وهو القاصد، يقال: سبيل قصد وقاصد، أي: مستقيم، كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه، ومعنى قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: أن هداية الطريق الموصل[1] إلى الحق واجبة عليه[2]؛ كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾﴾ [الليل: ١٢].

فإن قلت: لم غير أسلوب الكلام في قوله: ﴿وَمِنْهَا جَآئِرٌ﴾؟

قلت: ليعلم ما يجوز إضافته إليه من السبيلين وما لا يجوز، ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة[3] لقيل: وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها أو وعليه الجائر، وقرأ عبد الله:

---

(١) قال محمود: «ومعناه أن هداية الطريق الموصل إلى الحق واجبة... إلخ» قال أحمد: أين يذهب به عن تتمة الآية. وذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ولو كان الأمر كما تزعم القدرية لكان الكلام: وقد هداكم أجمعين. وما كأنهم إلا يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فإن ذهبوا إلى تأويل الهداية بالقسر والإلجاء، فما كأنهم إلا يحرفون الكلم من بعد مواضعه. وأما المخالفة بين الأسلوبين، فلأن سياق الكلام لإقامة حجة الله تعالى على الخلق بأنه بين السبيل القاصد والجائر، وهدى قوماً اختاروا الهدى، وأضل قوماً اختاروا الضلالة لأنفسهم. وقد تقدم في غير ما موضع أن كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران، هو من حيث كونه موجوداً. مخلوق لله تعالى ومضاف إليه بهذا الاعتبار، هو من حيث كونه مقترناً باختيار العبد له وبتأتيه له وتيسره عليه يضاف إلى العبد، وأن تعدد هذين الاعتبارين ثابت في كل فعل، فناسب إقامة الحجة على العباد إضافة الهداية إلى الله تعالى باعتبار خلقه لها، وإضافة الضلال إلى العبد باعتبار اختياره له، والحاصل أنه ذكر في كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة في الآخر، ليناسب ذلك إقامة الحجة ﴿ألا لله الحجة البالغة﴾ والله الموفق للصواب.

(٢) قوله: «الطريق الموصل إلى الحق واجبة عليه» هذا مذهب المعتزلة ولا وجوب عليه تعالى عند أهل السنة، بل ذلك فضل منه تعالى؛ لكن الكريم يبرز الوعد بالخير في صورة الواجب (ع).

(٣) قوله: «ولو كان الأمر كما تزعم المجبرة لقيل: وعلى الله قصد السبيل» يعني أهل السنة من أنه تعالى يخلق الشرّ كالخير. وقوله: «لقيل» إلخ: الملازمة ممنوعة لأن الكريم يحب الخير دون الشر، وإن كان كل منهما من عنده (قل كل من عند الله). (ع).

«ومنكم جائر»، يعني: ومنكم جائر جار عن القصد بسوء اختياره، والله بريء منه، ﴿وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾: قسراً وإلجاء[1]

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾

﴿لكم﴾: متعلق بأنزل، أو بشراب؛ خبراً له، والشراب ما يشرب، ﴿شَجَرٌ﴾ يعني: الشجر الذي ترعاه المواشي، وفي حديث عكرمة: لا تأكلوا ثمن الشجر؛ فإنه سحت (٨٢٦)، يعني: الكلأ، ﴿تُسِيمُونَ﴾: من سامت الماشية إذا رعت، فهي سائمة، وأسامها صاحبها، وهو من السومة وهي العلامة؛ لأنها تؤثر بالرعي علامات في الأرض، وقرئ: «ينبت»: بالياء والنون.

فإن قلت: لم قيل: ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾/ ١٩٠ب؟

قلت: لأنّ كل الثمرات لا تكون إلا في الجنة؛ وإنما أنبت في الأرض بعض من كلها للتذكرة، ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾: ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته، والآية: الدلالة الواضحة، وعن بعضهم: «يُنَبِّت»: بالتشديد، وقرأ أبيّ بن كعب: «ينبتُ لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب»: بالرفع.

---

٨٢٦ ـ قال الزيلعي: غريب.

وبمعناه ما رواه عبد الرزاق في مُصنفه، عن وهب بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا السُحت»، قالوا: وما السحت يا رسول الله؟ قال: «بيع الشجر وثمن الخمر، وإجارة الأمة المساحقة». وذكره عبد الحق في أحكامه، في البيوع من جهة عبد الرزاق، وقال: هذا مرسل، وحديث عكرمة أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الأموال موقوفاً عليه.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه أبو عبيد في الأصول عنه موقوفاً وزاد نحوه، وروى عبد الرزاق من طريق وهب بن منبه قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا السحت قالوا: وما السحت؟ قال: بيع الشجر وثمن الخمر وإجارة الأمة المساحقة». انتهى.

---

(١) قوله: «ولو شاء لهداكم أجمعين قسراً وإلجاء» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة فإنه لو شاء لهدى الكل اختياراً، وذلك أن المعتزلة أوجبوا على الله الصلاح، وهداية الكل صلاح؛ فظاهر الآية يخالف مذهبهم. ولذا قالوا: إنه أراد هداية الكل، لكن إرادة لا تنافي تخيير العبد، لئلا يبطل تكليفه. وهذه الإرادة لا تستلزم وقوع المراد. وأهل السنة لم يوجبوا على الله تعالى شيئاً، وكل ما أراده الله لا بد من وقوعه. وهذه الإرادة لا تنافي اختيار العبد عندهم لما تقرر له من الكسب، كما بين في علم التوحيد (ع).

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾

قرئت كلها بالنصب على: وجعل النجوم مسخرات، أو على أنّ معنى تسخيرها للناس: تصييرها نافعة لهم؛ حيث يسكنون بالليل، ويبتغون من فضله بالنهار، ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر، ويهتدون بالنجوم، فكأنه قيل: ونفعكم بها في حال كونها مسخرات لما خلقن له بأمره، ويجوز أن يكون المعنى: أنه سخرها أنواعاً من التسخير جمع مسخر، بمعنى: تسخير، من قولك: سخره الله مسخراً؛ كقولك: سرحه مسرحاً، كأنه قيل: وسخرها لكم تسخيرات بأمره، وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما، ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر، وقرئ: «والنجوم مسخرات»: بالرفع، وما قبله بالنصب، وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: فجمع الآية، وذكر العقل؛ لأنّ الآثار العلوية أظهر دلالة على القدرة الباهرة، وأبين شهادة للكبرياء والعظمة.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾: معطوف على الليل والنهار، يعني: ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيئات والمناظر.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾﴾

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾: هو السمك، ووصفه بالطراءة؛[1] لأنّ الفساد يسرع إليه[2]، فيسارع إلى أكله خيفة للفساد عليه.

فإن قلت: ما بال الفقهاء قالوا: إذا حلف الرجل لا يأكل لحماً. فأكل سمكاً، لم يحنث، والله ـ تعالى ـ سماه لحماً كما ترى؟

قلت: مبني الإيمان على العادة، وعادة الناس إذا ذكر اللحم على الإطلاق ألاّ يفهم منه السمك، وإذا قال الرجل لغلامه: اشتر بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك، كان حقيقاً بالإنكار، ومثاله: أن الله ـ تعالى ـ سمى الكافر دابة في قوله: إن شرّ الدواب عند الله

---

(١) قوله: «بالطراءة» في الصحاح: طرو اللحم. وطرى طراوة وطراء وطراة (ع).

(٢) عاد كلامه. قال: «هو السمك، ووصفه بالطراءة لأن الفساد يسرع إليه... إلخ» قال أحمد: فكأن ذلك تعليم لأكله وإرشاد إلى أنه لا ينبغي أن يتناول إلا طريا. والأطباء يقولون: إن تناوله بعد ذهاب طراوته أضر شيء يكون، والله أعلم.

الذين كفروا، فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافراً لم يحنث، ﴿حِلْيَةً﴾: هي اللؤلؤ والمرجان[1]، والمراد بلبسهم: لبس نسائهم؛ لأنهنّ من جملتهم، ولأنهنّ إنما يتزينّ بها من أجلهم، فكأنها زينتهم ولباسهم، المخر: شق الماء بحيزومها، وعن الفراء: هو صوت جري الفلك بالرياح، وابتغاء الفضل: التجارة.

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾﴾

﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهة أن يميل بكم وتضطرب، والمائد: الذي يدار به إذا ركب البحر، قيل: خلق الله الأرض فجعلت تمور، فقالت الملائكة: ما هي بمقرّ أحد على ظهرها، فأصبحت وقد أرسيت بالجبال، لم تدر الملائكة ممّ خلقت، ﴿وَأَنْهَٰرًا﴾: وجعل فيها أنهاراً؛ لأنّ: (ألقى): فيه معنى: جعل؛ ألا ترى إلى قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ [النبأ: ٦، ٧]، ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾: هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك، والمراد بالنجم: الجنس؛ كقولك: كثر الدرهم في أيدي الناس، وعن السدي: هو الثريا، والفرقدان، وبنات نعش، والجدي، وقرأ الحسن: «وبالنُّجم»: بضمتين، وبضمة وسكون، وهو جمع نجم، كرهن ورهن، والسكون تخفيف، وقيل: حذف الواو من النجوم تخفيفاً.

فإن قلت: قوله: ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾: مخرج عن سنن الخطاب، مقدم فيه؛ (النجم)، مقحم فيه (هم)، كأنه قيل: وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون، فمن المراد بـ (هم)؟

قلت: كأنه أراد قريشاً: كان لهم اهتداء بالنجوم في مسايرهم، وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم، فكان الشكر أوجب عليهم، والاعتبار ألزم لهم، فخصصوا.

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾

فإن قلت: (من لا يخلق) أريد به الأصنام[2]، فلم جيء بمن الذي هو لأولي العلم؟

---

(١) قال محمود: «الحلية هي اللؤلؤ والمرجان... إلخ» قال أحمد: ولله در مالك رضي الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بال من مالها، وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل، فانظر إلى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن، حتى جعل المرأة من مالها وزينتها حلية له، فعبر عن حظه في لبسها بلبسه، كما يعبر عن حظها سواء، مؤيداً بالحديث المروي في الباب، والله أعلم.

(٢) قال محمود: «إن قلت من لا يخلق أريد به الأصنام... إلخ» قال أحمد: وهو تحوم على أن العباد يخلقون أفعالهم، وأن المراد إظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى، =

قلت: فيه أوجه:

أحدها: أنهم سموها آلهة وعبدوها، فأجروها مجرى أولي العلم؛ ألا ترى إلى قوله على أثره: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [النحل: ٢٠].

والثاني: المشاكلة بينه وبين من يخلق.

والثالث: أن يكون المعنى أنّ من يخلق ليس كمن لا يخلق من أولي العلم، فكيف بما لا علم عنده؛ كقوله: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ﴾ [الأعراف: ١٩٥]، يعني: أنّ الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم أرجل وأيد وآذان وقلوب؛ لأنّ هؤلاء أحياء وهم أموات، فكيف تصح لهم العبادة؟ لا أنها لو صحت لهم هذه الأعضاء لصحّ أن يعبدوا.

فإن قلت: هو إلزام للذين عبدوا الأوثان[1]، وسموها آلهة؛ تشبيهاً بالله، فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق، فكان حق الإلزام أن يقال لهم: أفمن لا يخلق كمن يخلق؟

قلت: حين جعلوا غير الله مثل الله في تسميته باسمه والعبادة له وسوّوا بينه وبينه، فقد جعلوا الله ـ تعالى ـ من جنس المخلوقات وشبيهاً بها، فأنكر عليهم ذلك بقوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾.

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾

﴿لَا تُحْصُوهَآ﴾: لا تضبطوا عددها ولا تبلغه طاقتكم، فضلاً أن تطيقوا القيام بحقها من أداء الشكر، أتبع ذلك ما عدّد من نعمه تنبيهاً على أنّ وراءها ما لا ينحصر ولا ينعدّ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث يتجاوز عن تقصيركم في أداء شكر النعمة، ولا يقطعها عنكم لتفريطكم، ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها، ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾﴾: من أعمالكم، وهو: وعيد.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ ۖ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾

= حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الأصنام بطريق الأولى، ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد أنه يثبت خلق العبد لأفعاله بتنزيله الآية على هذا التأويل، ويتمنى له تم لو ذلك. [من البسيط]:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ....

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت هو إلزام للذين عبدوا الأوثان وسموها آلهة تشبيهاً بالله تعالى وكان من حق الإلزام... إلخ» قال أحمد: وقد تقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى ﴿وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ﴾ فجدد بها عهداً.

﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ﴾: والآلهة الذين يدعوهم الكفار، ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾، وقرئ: «بالتاء»، وقرئ: «يدعون»: على البناء للمفعول، نفى عنهم خصائص الإلهية بنفي كونهم خالقين وأحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث، وأثبت لهم/ ١٩١أ صفات الخلق بأنهم مخلوقون وأنهم أموات وأنهم جاهلون بالغيب، ومعنى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ﴾: أنهم لو كانوا آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير أموات، أي غير جائز عليها الموت كالحيّ الذي لا يموت، وأمرهم على العكس من ذلك، والضمير في (يبعثون): للداعين، أي: لا يشعرون متى تبعث عبدتهم، وفيه تهكم بالمشركين وأنّ آلهتهم لا يعلمون وقت بعثهم، فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم، وفيه دلالة على أنه لا بدّ من البعث وأنه من لوازم التكليف، ووجه آخر: وهو أن يكون المعنى: أن الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير، وهم لا يقدرون على نحو ذلك، فهم أعجز من عبدتهم أموات جمادات لا حياة فيها، غير أحياء يعني: أنّ من الأموات ما يعقب موته حياة، كالنطف التي ينشئها الله حيواناً، وأجساد الحيوان التي تبعث بعد موتها، وأمّا الحجارة فأموات لا يعقب موتها حياة؛ وذلك أعرق في موتها، ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ أي: وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الأحياء تهكماً بحالها؛ لأنّ شعور الجماد محال[1]، فكيف بشعور ما لا يعلمه حيّ إلا الحيّ القيوم سبحانه، ووجه ثالث: وهو أن يراد بالذين يدعون الملائكة، وكان ناس منهم يعبدونهم، وأنهم أموات، أي: لا بدّ لهم من الموت، غير أحياء: غير باقية حياتهم، وما يشعرون: ولا علم لهم بوقت بعثهم، وقرئ: «إيان»: بكسر الهمزة.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ يعني: أنه قد ثبت بما تقدّم من إبطال أن تكون الإلهية لغيره، وأنها له وحده لا شريك له فيها، فكان من نتيجة ثبات الوحدانية ووضوح دليلها: استمرارهم على شركهم، وأنّ قلوبهم منكرة للوحدانية، وهم مستكبرون عنها وعن الإقرار بها، ﴿لَا جَرَمَ﴾: حقًّا، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: سرّهم وعلانيتهم فيجازيهم، وهو وعيد، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾: يجوز أن يريد المستكبرين عن التوحيد يعني المشركين، ويجوز أن يعمّ كل مستكبر، ويدخل هؤلاء تحت عمومه.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ

---

(١) قوله: «لأن شعور الجماد محال» أي شعوره بما يشعر به الحيوان محال، فكيف بشعوره بما لا يعلمه حيوان وإنما يعلمه الحي القيوم، وهو وقت البعث. ولعل في عبارة المصنف سقطاً تقديره: شعور الجماد بما يشعر به الحيوان (ع).

﴿ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿مَّاذَآ﴾: منصوب بأنزل، بمعنى: أي شيء، ﴿أَنزَلَ رَبُّكُمْ﴾: أو مرفوع بالابتداء، بمعنى: أيّ شيء أنزله ربكم، فإذا نصبت فمعنى: ﴿أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: ما يدّعون نزوله أساطير الأوّلين، وإذا رفعته فالمعنى: المنزل أساطير الأوّلين؛ كقوله: ﴿مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة: ٢١٩] فيمن رفع.

فإن قلت: هو كلام متناقض؛ لأنه لا يكون منزل ربهم وأساطير؟

قلت: هو على السخرية؛ كقوله: إنّ رسولكم[1] وهو كلام بعضهم لبعض، أو قول المسلمين لهم، وقيل: هو قول المقتسمين: الذين اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله ﷺ إذا سألهم وفود الحاج عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا أحاديث الأوّلين وأباطيلهم، ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ﴾ أي: قالوا ذلك إضلالاً للناس وصدّاً عن رسول الله ﷺ فحملوا أوزار ضلالهم، ﴿كَامِلَةً﴾: وبعض أوزار من ضلّ بضلالهم، وهو وزر الإضلال؛ لأن المضلّ والضال شريكان: هذا يضله، وهذا يطاوعه على إضلاله، فيتحاملان الوزر، ومعنى اللام: التعليل من غير أن يكون غرضاً؛ كقولك: خرجت من البلد مخافة الشر، ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: حال من المفعول أي: يضلون من لا يعلم أنهم ضلال؛ وإنما وصف بالضلال واحتمال الوزر من أضلوه وإن لم يعلم؛ لأنه كان عليه أن يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين المحق والمبطل.

﴿قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

القواعد: أساطين البناء التي تعمده، وقيل: الأساس، وهذا تمثيل، يعني: أنهم سوّوا منصوبات ليمكروا[2] بها الله ورسوله، فجعل الله هلاكهم في تلك المنصوبات، كحال قوم بنوا بنياناً وعمدوه بالأساطين، فأتى البنيان من الأساطين بأن ضعضعت، فسقط عليهم

---

(١) قوله: «على السخرية كقوله إن رسولكم» لعله: إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون (ع).

(٢) قوله: «ليمكروا بها الله ورسوله» لعل تعدية فعل المكر إلى مفعول لتضمنه معنى الخديعة (ع).

السقف وهلكوا؛ ونحوه: من حفر لأخيه جبًّا وقع فيه منكبًّا، وقيل: هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع، وقيل فرسخان، فأهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا، ومعنى إتيان الله: إتيان أمره، ﴿مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾: من جهة القواعد، ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾: من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون، وقرئ: «فأتى الله بيتهم»، «فخرّ عليهم السقف»: بضمتين، ﴿يُخْزِيهِمْ﴾: يذلهم بعذاب الخزي، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ يعني: هذا لهم في الدنيا، ثم العذاب في الآخرة، ﴿شُرَكَآءِىَ﴾: على الإضافة إلى نفسه حكاية لإضافتهم، ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم، ﴿تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ﴾: تعادون وتخاصمون المؤمنين في شأنهم ومعناهم، وقرئ: «تشاقون»: بكسر النون، بمعنى: تشاقونني؛ لأنّ مشاقة المؤمنين كأنها مشاقة الله، ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾: هم الأنبياء والعلماء من أممهم الذين كانوا يدعونهم إلى الإيمان ويعظونهم، فلا يلتفتون إليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم؛ يقولون ذلك شماتة بهم، وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفاً لمن سمعه، وقيل: هم الملائكة، قرئ: «تتوفاهم»: بالتاء والياء، وقرئ: «الذين توفاهم»: بإدغام التاء في التاء، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾: فسالموا وأخبتوا، وجاؤوا بخلاف ما كانوا عليه في الدنيا من الشقاق والكبر، وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍ﴾، وجحدوا ما وجد منهم من الكفر والعدوان، فردّ عليهم أولو العلم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: فهو يجازيكم عليه، وهذا ـ أيضاً ـ من الشماتة وكذلك: ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ﴾.

﴿۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿خَيْرًا﴾ أنزل خيراً.

فإن قلت: لم نصب هذا ورفع الأول؟

قلت: فصلاً بين جواب المقرّ وجواب الجاحد، يعني: أن هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا، وأطبقوا الجواب على السؤال بيناً مكشوفاً مفعولاً للإنزال، فقالوا: خيراً، أي: أنزل خيراً، وأولئك عدلوا بالجواب عن السؤال/ ١٩١ب فقالوا: هو أساطير الأوّلين، وليس من الإنزال في شيء، وروي أن أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبي ﷺ فإذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف، وقالوا: إن لم تلقه كان خيراً لك، فيقول: أنا شرّ وافد إن رجعت إلى قومي دون أن أستطلع أمر محمد وأراه،

فيلقى أصحاب رسول الله ﷺ فيخبرونه بصدقه، وأنه نبيّ مبعوث، فهم الذين قالوا خيراً، وقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾، وما بعده بدل من «خيراً»؛ حكاية لقوله الذين اتقوا، أي: قالوا هذا القول، فقدّم عليه تسميته خيراً ثم حكاه، ويجوز أن يكون كلاماً مبتدأ عدة للقائلين، ويجعل قولهم من جملة إحسانهم ويحمدوا عليه، ﴿حَسَنَةٌ﴾: مكافأة في الدنيا بإحسانهم، ولهم في الآخرة ما هو خير منها؛ كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾: دار الآخرة، فحذف المخصوص بالمدح لتقدّم ذكره، و﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ﴾: خبر مبتدأ محذوف، ويجوز أن يكون المخصوص بالمدح: ﴿طَيِّبِينَ﴾: طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي؛ لأنه في مقابلة ظالمي أنفسهم، ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾: قيل: إذا أشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال: السلام عليك يا وليّ الله، الله يقرأ عليك السلام، وبشره بالجنة.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: قرئ بالتاء والياء، يعني: أن تأتيهم لقبض الأرواح، و﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾: العذاب المستأصل، أو القيامة، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، ﴿فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ﴾: بتدميرهم، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾؛ لأنهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير، ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾: جزاء سيئات أعمالهم، أو هو كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠].

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾﴾

هذا من جملة ما عدّد من أصناف كفرهم وعنادهم، من شركهم بالله وإنكار وحدانيته بعد قيام الحجج وإنكار البعث واستعجاله؛ استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول، وشقاقهم، واستكبارهم عن قبول الحق، يعني: أنهم أشركوا بالله وحرّموا ما أحل الله، من البحيرة والسائبة وغيرهما، ثم نسبوا فعلهم إلى الله وقالوا: لو شاء لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه[1]، ﴿كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ أي: أشركوا وحرموا

(١) قوله: «وقالوا لو شاء الله لم نفعل، وهذا مذهب المجبرة بعينه» يعني أهل السنة، وليس كما قال، =

حلال الله[1]، فلما نبهوا على قبح فعلهم وزكوه على ربهم[2]، ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ﴾: إلا أن يبلغوا الحق، وأن الله لا يشاء الشرك والمعاصي بالبيان والبرهان، ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله ـ تعالى ـ من أفعال العباد، وأنهم فاعلوها بقصدهم وإرادتهم واختيارهم، والله ـ تعالى ـ باعثهم على جميلها وموفقهم له، وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾

ولقد أمدّ إبطال قدر السوء ومشيئة الشر بأنه ما من أمة إلا وقد بعث فيهم رسولاً يأمرهم بالخير الذي هو الإيمان وعبادة الله، وباجتناب الشر الذي هو طاعة الطاغوت، ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ﴾ أي: لطف به؛ لأنه عرفه من أهل اللطف، ﴿وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ

= بل قاله المشركون استهزاء، وأهل السنة اعتقاداً، كما أفاده النسفي. وكل ما شاءه الله كان، وما لم يشأ لم يكن، شرا كان أو خيراً. وكل أمر بقضائه تعالى وقدره، شرا كان أو خيراً. وهو الخالق لأفعال العباد وإن كانت بكسبهم واختيارهم، خلافاً للمعتزلة في جميع ذلك، كما أطال به فيما سيأتي هنا انتصاراً للمعتزلة (ع).

(١) قال محمود: «يعني أنهم أشركوا بالله وحرموا ما أحل الله... إلخ» قال أحمد: قد تكرر منه مثل هذا الفصل في أخت الآية المتقدمة في سورة الأنعام، وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع إن شاء الله، والذي زاده هنا يثبت معتقده على زعمه بقوله تعالى ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ ووجه تمسكه به أن الله تعالى قسم العبادة إلى قسمين: مأمور به ومنهي عنه. والأمر والنهي عند المصنف راجعان إلى المشيئة بناء على زعم القدرية في إنكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الإرادة، فالحاصل حينئذ من هذه التتمة أن الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت، ولم يشأ منهم أن يشركوا به، وأخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه إلى أمة من الأمم، فجاءت التتمة مترجمة عن معنى صدر الآية، مؤكدة بمقتضاها. هذا هو الذي زاده المصنف ههنا، وقد بينا أن مبناه على إنكار كلام النفس الثابت قطعاً، فهو باطل جزماً. والعجب أن الله تعالى أوضح في الآيتين جميعاً أن الذي أنكره من القائلين ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ إنما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التي لا حجة لهم فيها، مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ وبقوله في آخر آية الأنعام ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ فتبين أنه هو الذي شاء منهم الإشراك والضلالة، ولو شاء هدايتهم أجمعين لاهتدوا عن آخرهم. وحصل من هذا البيان: صرف الإنكار عليهم إلى غير نسبة المشيئة لله تعالى، وذلك هو الذي قدمناه في إقامتهم الحجة على الله بمشيئته، مع أن حجتهم في ذلك داحضة، ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة، والله الموفق.

(٢) قوله: «وركوه على ربهم» أي اتهموه به.

﴿ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ أي: ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف؛ لأنه عرفه مصمماً على الكفر لا يأتي منه خير، ﴿فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟﴾: ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة في أني لا أقدّر الشر ولا أشاؤه؛ حيث أفعل ما أفعل بالأشرار.

﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾

ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله ﷺ على إيمانهم، وعرّفه أنهم من قسم من حقت عليه الضلالة، وأنه ﴿لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ أي: لا يلطف ممن يخذل؛ لأنه عبث، والله تعالى متعال عن العبث؛ لأنه من قبيل القبائح التي لا تجوز عليه، وقرئ: «لا يُهدَى»[1]، أي: لا تقدر أنت ولا أحد على هدايته وقد خذله الله، وقوله: ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾: دليل على أنّ المراد بالإضلال: الخذلان الذي هو نقيض النصرة، ويجوز أن يكون: (لا يهدي) بمعنى: لا يهتدي، يقال: هداه الله فهدي، وفي قراءة أبيّ: «فإنّ الله لا هادي لمن يضل»، «ولمن أضلّ»[2]، وهي معاضدة لمن قرأ: ﴿لَا يَهْدِى﴾: على البناء للمفعول، وفي قراءة عبد الله: «يهدي»: بإدغام تاء يهتدي، وهي معاضدة للأولى، وقرئ: (يضل): بالفتح، وقرأ النخعي: «إن تحرَص»: بفتح الراء، وهي لغية.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ ۚ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾: معطوف على: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾؛ إيذاناً بأنهما كفرتان عظيمتان موصوفتان، حقيقتان بأن تحكيا وتدوّنا: توريك ذنوبهم على مشيئة[3] الله، وإنكارهم البعث مقسمين عليه، و﴿بَلَىٰ﴾: إثبات لما بعد النفي، أي: بلى يبعثهم، ووعد الله: مصدر مؤكد لما دلّ عليه بلى؛ لأن يبعث موعد من الله، وبين أنّ الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه في الحكمة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾: أنهم يبعثون أو أنه وعد واجب[4] على الله؛ لأنهم يقولون: لا يجب على الله شيء، لا ثواب عامل ولا غيره من

---

(١) قوله: «وقرئ لا يهدى» بالبناء للمجهول، كما أفاده النسفي (ع).

(٢) قوله: «وفي قراءة أبي: فإن الله لا هادي لمن يضل ولمن أضل» ظاهره أن هذه قراءة أخرى لأبي. فليحرر.

(٣) قوله: «توريك ذنوبهم على مشيئة الله» أي نسبة ذنوبهم إلى مشيئته تعالى واتهامها بها.

(٤) قوله: «أو أنه وعد واجب على الله... إلخ» الكلام في الكفار. وعرض فيه المصنف بأهل السنة تعصباً للمعتزلة في قولهم بوجوب الصلاح عليه تعالى فافهم (ع).

مواجب الحكمة، ﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾: متعلق بما دل عليه «بلى» أي: يبعثهم ليبين لهم، والضمير: لمن يموت، وهو عام للمؤمنين والكافرين، والذي اختلفوا فيه هو الحق، ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ﴾: كذبوا في قولهم: لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء، وفي قولهم: لا يبعث الله من يموت، وقيل: يجوز أن يتعلق بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا﴾ أي: بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه، وأنهم كانوا على الضلالة قبله، مفترين على الله الكذب.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قَوْلُنَا﴾: مبتدأ، و﴿أَن نَّقُولَ﴾: خبره، ﴿كُن فَيَكُونُ﴾: من كان التامة التي بمعنى: الحدوث والوجود،/ ١٩٢أ أي: إذا أردنا وجود شيء فليس إلا أن نقول له: احدث، فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف، وهذا مثل لأنّ مراداً لا يمتنع عليه، وأنّ وجوده عند إرادته تعالى غير متوقف، كوجود المأمور به عند أمر الآمر المطاع إذا ورد على المأمور المطيع الممتثل، ولا قول: ثم، والمعنى: أنّ إيجاد كل مقدور على الله ـ تعالى ـ بهذه السهولة، فكيف يمتنع عليه البعث الذي هو من شق المقدورات، وقرئ: «فيكون»: عطفاً على: (نقول).

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ﴾: هم رسول الله ﷺ وأصحابه، ظلمهم أهل مكة ففرّوا بدينهم إلى الله، منهم: من هاجر إلى الحبشة ثم إلى المدينة فجمع بين الهجرتين، ومنهم: من هاجر إلى المدينة، وقيل: هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله ﷺ وكلما خرجوا تبعوهم فردّوهم، منهم: بلال، وصهيب، وخباب، وعمار، وعن صهيب أنه قال لهم: أنا رجل كبير، إن كنت معكم لم أنفعكم، وإن كنت عليكم لم أضرّكم، فافتدى منهم بماله وهاجر، فلما رآه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ قال له: ربح البيع يا صهيب، وقال له عمر: نعم، الرجل صهيب، لو لم يخف الله لم يعصه، وهو ثناء عظيم: يريد لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه[1]، فكيف: ﴿فِى ٱللَّهِ﴾: في حقه ولوجهه، ﴿حَسَنَةً﴾: صفة للمصدر، أي: لنبوأنهم تبوئة حسنة، وفي قراءة علي ـ رضي الله عنه ـ: «لنثوّينهم»، ومعناه: أثوأة حسنة، وقيل: لننزلنهم في الدنيا منزلة حسنة، وهي الغلبة على

(١) قوله: «لو لم يخلق الله ناراً لأطاعه فكيف» أي فكيف لا يطيعه. وقد خلقها لمن عصى (ع).

أهل مكة الذين ظلموهم، وعلى العرب قاطبة، وعلى أهل المشرق والمغرب، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه كان إذا أعطى رجلاً من المهاجرين عطاء، قال: خذ بارك الله لك فيه، هذا ما وعدك ربك في الدنيا، وما ذخر لك في الآخرة أكثر، وقيل: لنبوّأنهم مباءة حسنة، وهي: المدينة؛ حيث آواهم أهلها ونصروهم، ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ الضمير: للكفار، أي: لو علموا أنّ الله يجمع لهؤلاء المستضعفين في أيديهم الدنيا والآخرة، لرغبوا في دينهم، ويجوز أن يرجع الضمير إلى المهاجرين، أي: لو كانوا يعلمون ذلك، لزادوا في اجتهادهم وصبرهم، ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على: هم الذين صبروا، أو: أعني الذين صبروا، وكلاهما مدح، أي: صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب في كل قلب، فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤوسهم، وعلى المجاهدة، وبذل الأرواح في سبيل الله.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قالت قريش: الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً، فقيل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾: على ألسنة الملائكة، ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: وهم أهل الكتاب؛ ليعلموكم أن الله لم يبعث إلى الأمم السالفة إلا بشراً.

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾؟

قلت: له متعلقات شتى، فإما أن يتعلق بما أرسلنا داخلاً تحت حكم الاستثناء مع رجالاً، أي: وما أرسلنا إلا رجالاً بالبينات؛ كقولك: ما ضربت إلا زيداً بالسوط؛ لأن أصله: ضرب زيداً بالسوط وإما: برجالاً، صف له: أي: رجالاً ملتبسين بالبينات، وإما بأرسلنا مضمراً؛ كأنما قيل: بم أرسلوا؟ فقلت: «بالبينات»، فهو على كلامين، والأوّل على كلام واحد، وإما بيوحى، أي: يوحى إليهم بالبينات، وإما: بلا تعلمون، على أن الشرط في معنى التبكيت والإلزام؛ كقول الأجير: إن كنت عملت لك فأعطني حقي، وقوله: ﴿فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾: اعتراض على الوجوه المتقدّمة، وأهل الذكر: أهل الكتاب، وقيل: للكتاب الذكر؛ لأنه موعظة وتنبيه للغافلين، ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ يعني: ما نزل الله إليهم في الذكر مما أمروا به ونهوا عنه ووعدوا وأوعدوا، ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾: وإرادة أن يصغوا إلى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ

﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾

﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أي: المكرات السيئات، وهم أهل مكة، وما مكروا به رسول الله، ﷺ[1]، ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾: متقلبين في مسايرهم ومتاجرهم وأسباب دنياهم، ﴿عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾: متخوفين، وهو أن يهلك قوماً قبلهم فيتخوّفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون، وهو خلاف قوله: ﴿مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ وقيل: هو من قولك: تخوفنه وتخونته، إذا تنقصته؛ قال زهير [من البسيط]:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكاً قَرِداً ... كَمَا تَخَوَّفَ عُودَ النَّبْعَةِ السَّفَنُ[2]

أي: يأخذهم على أن يتنقصهم شيئاً بعد شيء في أنفسهم وأموالهم حتى يهلكوا، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال على المنبر: ما تقولون فيها؟ فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال: هذه لغتنا: التخوّف: التنقص، قال: فهل تعرف العرب ذلك في أشعارها؟ قال: نعم، قال شاعرنا، وأنشد البيت، فقال عمر: أيها الناس، عليكم بديوانكم لا يضل، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية؛ فإن فيه تفسير كتابكم، ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾؛ حيث يحلم عنكم، ولا يعاجلكم مع استحقاقكم.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾

قرئ: «أو لم يروا»، «ويتفيؤا»: بالياء والتاء، و(ما): موصولة بخلق الله، وهو مبهم

---

(١) قوله: «وما مكروا به رسول الله ﷺ» ضمن المكر معنى الخداع، فعدى إلى المفعول (ع).

(٢) لأبي كبير الهذلي. وقيل لزهير. والتخوف: التنقص شيئاً فشيئاً. والتامك: السنام المرتفع. والقرد: الذي أكله القراد من كثرة أسفارها. أو الذي تنقب وفسد من الرحل في السفر. والنبعة: واحدة النبع، وهو شجر تتخذ منه القسي. ويروى: ظهر النبعة. والسفن: المبرد الحديد الذي ينحت به الخشب، يقول: تنقص رحلها سنامها المرتفع الذي تنقب من كثرة السفر، كما تنقص المبرد عود النبعة. وفيه تشبيه بها في الصلابة. وروي أن عمر قال على المنبر: ما تقولون في قوله تعالى ﴿أو يأخذكم على تخوف﴾ فسكتوا، فقال شيخ من هذيل: هذه لغتنا، التخوف: التنقص، وأنشد البيت، فقال عمر: عليكم بديوانكم لا تضلوا. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإن فيه تفسير كتابكم.
البيت لابن مقبل في ملحق ديوانه ص ٤٠٥، ولسان العرب (خوف)، وتهذيب اللغة ٧/ ٥٩٤، ١٣/ ٤، ولذي الرمة في ملحق ديوانه ص ١٩١٧، ولسان العرب (سفن)، ولذي الرمة أو لابن مقبل في تاج العروس (سفن)، ولزهير في أساس البلاغة (خوف)، وليس في ديوانه، ولعبد الله بن عجلان النهدي في تاج العروس (خوف)، ولقعنب ابن أم صاحب في سمط اللآلي ص ٧٣٨، وبلا نسبة في المخصص ١٣/ ٢٧٧، وتاج العروس (خوف)، وأمالي القالي ٢/ ١١٢.

بيانه، ﴿مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَٰلُهُۥ﴾، واليمين: بمعنى الأيمان، و﴿سُجَّدًا﴾: حال من الظلال، ﴿وَهُمْ دَٰخِرُونَ﴾: حال من الضمير في ظلاله؛ لأنه في معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل، وجمع بالواو؛ لأن الدخور من أوصاف العقلاء، أو لأن في جملة ذلك من يعقل فغلب، والمعنى: أو لم يروا إلى ما خلق الله من الإجرام التي لها/ ١٩٢ب ظلال متفيئة عن أيمانها وشمائلها، أي: عن جانبي كل واحد منها، وشقيه استعارة من يمين الإنسان وشماله لجانبي الشيء، أي: ترجع الظلال من جانب إلى جانب منقادة لله، غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ، والأجرام في أنفسها داخرة ـ أيضاً ـ صاغرة منقادة لأفعال الله فيها، لا تمتنع.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: يجوز أن يكون بياناً لما في السموات وما في الأرض جميعاً، على أنّ في السموات خلقاً لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الخلق الذي يقال له: الروح، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الملائكة، وكرّر ذكرهم على معنى: والملائكة خصوصاً من بين الساجدين؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم، ويجوز أن يراد بما في السموات: ملائكتهنّ، وبقوله والملائكة: ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم.

فإن قلت: سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم[1]، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد؟

قلت: المراد بسجود المكلفين: طاعتهم وعبادتهم، وبسجود غيرهم: انقياده لإرادة الله وأنها غير ممتنعة عليها، وكلا السجودين يجمعها معنى الانقياد فلم يختلفا؛ فلذلك جاز

---

(١) قال محمود: «إن قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم، فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد... إلخ»؟ قال أحمد: وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولاً ولم يرد ذلك متناقضاً، فإن السجود يتناول هل المكلف حقيقة يتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه، وقد أريد جميعاً من الآية، والزمخشري ينكر ذلك في مواضع مررت عليها من كتابه، هذا وظاهر مراده ههنا أن السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف، وهو عدم الامتناع عند القدرية، وغرضه من ذلك أن يكون اللفظ متواطئاً فيهما جميعاً، ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز، لأنه يأبى ذلك، ولا يتم له هذا المقصد في الآية ـ والله أعلم ـ لأن كونها آية سجدة يدل على أن المراد من السجود المذكور فيها منسوباً للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعاً، الذي يكون ذكره سبباً لفعلة سببية معتادة في عزائم السجود، لا القدر الأعم المشترك، والله أعلم.

أن يعبر عنهما بلفظ واحد.

فإن قلت: فهلا جيء بمن دون «ما»: تغليباً للعقلاء من الدواب على غيرهم؟

قلت: لأنه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب، فكان متناولاً للعقلاء خاصة، فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم، إرادة العموم، ﴿يَخَافُونَ﴾: يجوز أن يكون حالاً من الضمير[1] في (لا يستكبرون)، أي: لا يستكبرون خائفين، وأن يكون بياناً لنفي الاستكبار وتأكيداً له؛ لأنّ من خاف الله لم يستكبر عن عبادته، ﴿مِن فَوْقِهِمْ﴾: إن علقته بيخافون، فمعناه: يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم، وإن علقته بربهم حالاً منه فمعناه: يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً؛ كقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾: وفيه دليل على أنّ الملائكة مكلفون مدارون على الأمر والنهي والوعد والوعيد كسائرالمكلفين، وأنهم بين الخوف والرجاء.

﴿۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾﴾

فإن قلت: إنما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين، فقالوا عندي رجال ثلاثة وأفراس أربعة؛ لأن المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص، وأما رجل ورجلان وفرس وفرسان، فمعدودان فيهما دلالة على العدد، فلا حاجة إلى أن يقال: رجل واحد ورجلان اثنان، فما وجه قوله إلهين اثنين[2]؟

قلت: الاسم الحامل لمعنى الإفراد والتثنية دال على شيئين: على الجنسية والعدد المخصوص، فإذا أريدت الدلالة على أنّ المعنيّ به منهما، والذي يساق إليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده، فدل به على القصد إليه والعناية به؛ ألا ترى أنك لو قلت: إنما هو إله، ولم تؤكده بواحد: لم يحسن، وخيل أنك تثبت الإلهية لا الوحدانية، ﴿فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾: نقل للكلام عن الغيبة إلى التكلم؛ وجاز لأنّ الغالب هو المتكلم، وهو من طريقة الالتفات، وهو أبلغ في الترهيب من قوله: وإياه فارهبوه، ومن أن يجيء ما قبله على لفظ المتكلم.

﴿وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾﴾

---

(١) قال محمود: «يجوز أن يكون حالاً من الضمير... إلخ» قال أحمد: هذا الثاني هو الوجه ليس الأول، وأما الحال فيعطي انتقالاً، ويوهم تقيد العدم استكبارهم، مع أن الواقع أو عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال، والله الموفق.

(٢) قال محمود: «إن قلت ما فائدة قوله اثنين مع إغناء التثنية عن ذلك... إلخ» قال أحمد: وهذا الفصل من حسناته التي لا يدافع عنها، والله الموفق.

﴿ٱلدِّينُ﴾: الطاعة، ﴿وَاصِبًا﴾: حال عمل فيه الظرف، والواصب: الواجب الثابت؛ لأنّ كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه، ويجوز أن يكون من الوصب، أي: وله الدين ذا كلفة ومشقة؛ ولذلك سمي تكليفاً، أو: وله الجزاء ثابتاً دائماً سرمداً لا يزول، يعني: الثواب والعقاب.

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾

﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ﴾: وأيّ شيء حل بكم، أو اتصل بكم من نعمة، فهو من الله، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ﴾: فما تتضرعون إلا إليه، والجُؤَار: رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة؛ قال الأعشى يصف راهباً [من المتقارب]:

يُـرَاوِحُ مِـنْ صَـلَـوَاتِ الْـمَـلِـيـ ـكِ طَـوْراً سُـجُـوداً وَطَـوْراً جُـؤَارَا[1]

وقرئ: «تجرون»: بطرح الهمزة وإلقاء حركتها على الجيم، وقرأ قتادة: كاشف الضرّ على: فاعل بمعنى فعل، وهو أقوى من كشف؛ لأن بناء المغالبة يدل على المبالغة.

فإن قلت: فما معنى قوله: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾؟

قلت: يجوز أن يكون الخطاب في قوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ عاماً، ويريد بالفريق: فريق الكفرة، وأن يكون الخطاب للمشركين، ومنكم للبيان، لا للتبعيض، كأنه قال: فإذا فريق كافر، وهم أنتم، ويجوز أن يكون فيهم من اعتبر؛ كقوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ [لقمان: ٣٢]، ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ﴾: من نعمة الكشف عنهم، كأنهم جعلوا غرضهم في الشرك كفران النعمة، ﴿فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: تخلية ووعيد، وقرئ: «فيمتعوا»: بالياء مبنيا للمفعول، عطفاً على: (ليكفروا)، ويجوز أن يكون: ليكفروا

---

(١) وما آبلي على هيكل ... بناه وصلب فيه وصارا
يراوح من صلوات المليـ ... ـك طوراً سجوداً وطوراً جؤارا
بأعظم منك تقى في الحساب ... إذا النسمات نفضن الغبارا

للأعشى. والآبلي: الراهب، نسبة إلى آبل وهو قيم البيعة. والهيكل: بيت الصنم. وصلب: أي صور الصليب. وألف صارا للإطلاق. ويراوح: خبره، وإن لزم عليه التضمين مراعاة لجزالة المعنى، والمراوحة في العمل: الانتقال من حالة إلى أخرى. والصلوات: الدعوات. والسجود: الانخفاض والخشوع. والجؤار: رفع الصوت بالدعاء. وبأعظم: خبر آبلي. وتقى: تمييز. يقول ليس الراهب العاكف على هيكله الذي صور فيه الصليب، وصار يتابع ويتنقل من بعض دعوات الله إلى بعض، فتارة يسجد سجوداً، وتارة يجأر جؤاراً، تقاه أعظم من تقاك يوم الحساب إذا قام الناس من قبورهم، فنفضهم الغبار كناية عن ذلك.

فيمتعوا، من الأمر الوارد في معنى: الخذلان والتخلية؛ واللام: لام الأمر.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿لِمَا لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لآلهتهم، ومعنى: لا يعلمونها: أنهم يسمونها آلهة، ويعتقدون فيها أنها تضر وتنفع وتشفع عند الله، وليس كذلك؛ وحقيقتها أنها جماد لا يضر ولا ينفع، فهم إذاً جاهلون بها، وقيل: الضمير في (لا يعلمون): للآلهة، أي: لأشياء غير موصوفة بالعلم، ولا تشعر أجعلوا لها نصيباً في أنعامهم وزروعهم أم لا؟ وكانوا يجعلون لهم ذلك تقرباً إليهم/ ١٩٣ أ، ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾: وعيد، ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾: من الإفك في زعمكم أنها آلهة، وأنها أهل للتقرب إليها.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾

كانت خزاعة وكنانة تقول: الملائكة بنات الله، ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾: تنزيه لذاته من نسبة الوالد إليه، أو تعجب من قولهم: ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ يعني: البنين، ويجوز في: (ما يشتهون): الرفع على الابتداء، والنصب على أن يكون معطوفاً على البنات، أي: وجعلوا لأنفسهم ما يشتهون من الذكور، و﴿ظَلَّ﴾ بمعنى: صار[1]، كما يستعمل بات وأصبح وأمسى بمعنى: الصيرورة، ويجوز أن يجيء ظل؛ لأن أكثر الوضع يتفق بالليل، فيظل نهاره مغتما مربد الوجه[2] من الكآبة والحياء من الناس، ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾: مملوء حنقاً على المرأة، ﴿يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ﴾: يستخفي منهم، ﴿مِن﴾: أجل، ﴿سُوٓءِ﴾: المبشر به، ومن أجل تعييرهم ويحدث نفسه وينظر أيمسك ما بشر به، ﴿عَلَىٰ هُونٍ﴾: على هوان وذل، ﴿أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ﴾: أم يئده[3]، وقرئ: «أيمسكها على هون أم يدسها»: على التأنيث، وقرئ: «على هوان» ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ حيث يجعلون الولد الذي هذا محله عندهم لله، ويجعلون لأنفسهم من هو على عكس هذا الوصف.

---

(١) قال محمود: «ظل بمعنى صار» قال أحمد: وجاز أن يراد الظلول نهاراً لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد والإصرار وأنهم لو عرجوا نهاراً في الوقت الذي لا يتغابى على البصر فيه شيء إلى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم، والله أعلم.

(٢) قوله: «ويجوز أن يجيء ظل... إلخ» قال أحمد: أي يرد ويستعمل في الآية بمعناه الأصلي، وهو اتصاف الشيء بصفة نهاراً فقط، لأن أكثر الوضع... إلخ. ومربد الوجه: متعبسه من الغضب، كما يفيده الصحاح (ع).

﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾﴾

﴿مَثَلُ ٱلسَّوْءِ﴾: صفة السوء: وهي الحاجة إلى الأولاد الذكور وكراهة الإناث ووأدهن خشية الإملاق، وإقرارهم على أنفسهم بالشح البالغ، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾: وهو الغني عن العالمين، والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿بِظُلْمِهِم﴾: بكفرهم ومعاصيهم، ﴿مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾ أي: على الأرض، ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: قط ولأهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين، وعن أبي هريرة: أنه سمع رجلاً يقول: إن الظالم لا يضرّ إلا نفسه، فقال: بلى والله، حتى أنّ الحبارى لتموت في وكرها بظلم الظالم (٨٢٧)، وعن ابن مسعود: كاد الجعل يهلك في جحره بذنب ابن آدم (٨٢٨)، أو من دابة ظالمة، وعن ابن عباس، (من دابة): من مشرك يدب عليها، وقيل: لو أهلك الآباء بكفرهم لم تكن الأبناء.

---

٨٢٧ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٦٠١) رقم (٢١٦٦٩)، البيهقي في الشعب (٦/ ٥٤) حديث رقم (٧٤٧٩).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبري والبيهقي في الشعب التاسع والأربعين، وفي إسناده محمد بن جابر التمامي وهو متروك. انتهى.

٨٢٨ ـ أخرجه الطبري (٧/ ٦٠١) رقم (٢١٦٧١)، الحاكم (٢/ ٤٢٨).
قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه ابن أبي شيبة والحاكم والطبراني من طريق أبي الأحوص قال: قرأ ابن مسعود: ولو يؤاخذ الله الناس ـ الآية قال: كاد الجعل يعذب في حجره بذنب ابن آدم. انتهى.

---

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: «قوله معطوفان على محل «لِتُبَيِّنَ» ليس بصحيح، لأن محله ليس نصباً، فيعطف منصوباً ألاَ ترى أنه لو نصبه لم يجز لاختلاف الفاعل». قُلْتُ: الزمخشري لم يجعل النصب لأجل العطف على المحل، إنما جعله بوصول الفعل إليهما. لاتحاد الفاعل كما صَرَّحَ به فيما حكيته عنه آنِفاً، وإنما جعل العطف لأجل التشريك في العِلِّيَّةِ لا غير، يعني أنهما علتان، كما أن «لِتُبَيِّنَ» عِلَّةٌ. ولئن سلمنا أنه نصب عطفاً على المحل، فلا يضر ذلك. قوله: «لأنَّ محله ليس نصباً» ممنوع، وهذا ما لا خلاف فيه، من أن محل الجار والمجرور النصب، لأنه فضلة إلاَّ أنْ يقوم مقام مرفوع، ألا ترى إلى تخريجهم قوله: ﴿وَأَرْجُلَكُمْ﴾ في قراءة النصب على العطف على محل «بِرُؤُوسِكُمْ» ويجيزون «مررت بزيد وعمراً»، على خلاف في ذلك بالنسبة إلى القياس وعدمه، لا في أصل المسألة، وهذا بحث حَسنُ تركه المردود عليه. انتهى. الدر المصون.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾﴾

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾: لأنفسهم من البنات ومن شركاء في رياستهم، ومن الاستخفاف برسلهم[1]، والتهاون برسالاتهم، ويجعلون له أرذل أموالهم ولأصنامهم أكرمها، ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾: مع ذلك، ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ﴾: عند الله؛ كقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِندَهُ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠]، وعن بعضهم أنه قال لرجل من ذوي اليسار: كيف تكون يوم القيامة إذا قال الله تعالى: هاتوا ما دفع إلى السلاطين وأعوانهم، فيؤتى بالدواب والثياب وأنواع الأموال الفاخرة، وإذا قال: هاتوا ما دفع إليّ فيؤتى بالكسر والخرق وما لا يؤبه له، أما تستحي من ذلك الموقف؟ وقرأ هذه الآية، وعن مجاهد: أنّ لهم الحسنى، هو قول قريش: لنا البنون، وأن لهم الحسنى: بدل من الكذب، وقرئ: (الكذب): جمع كذوب، صفة للألسنة، ﴿مُّفْرَطُونَ﴾ قرئ: مفتوح الراء ومكسورها مخففاً ومشدّداً، فالمفتوح بمعنى: مقدّمون إلى النار معجلون إليها، من أفرطت فلاناً، وفرّطته في طلب الماء، إذا قدمته، وقيل: منسيون متروكون، من أفرطت فلاناً خلفي إذا خلفته ونسيته، والمكسور المخفف، من الإفراط في المعاصي، والمشدّد، من التفريط في الطاعات وما يلزمهم.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾: حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان أعمالهم فيها، أو فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا، ومعنى (وليهم): قرينهم وبئس القرين، أو يجعل: (فهو وليهم اليوم): حكاية للحال الآتية، وهي حال كونهم معذبين في النار، أي: فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره، نفياً للناصر لهم على أبلغ الوجوه، ويجوز أن يرجع الضمير إلى مشركي قريش، أنه زين للكفار قبلهم أعمالهم، فهو ولي وهؤلاء؛ لأنهم منهم، ويجوز أن يكون على حذف المضاف، أي: فهو ولي أمثالهم اليوم.

---

(١) قال محمود: «المراد بما يكرهونه البنات، وشركاء في رياستهم، واستخفاف برسلهم... إلخ» قال أحمد: ونقيض هؤلاء من إذا أعجبه شيء من ماله جعله لله، بل إذا أحب أمة له أعتقها، وإذا اشتهى طعاماً قدم إليه تصدق به على حبه، وإنما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة، كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها، ويجعلون لله ما يشتهون. اللهم إن لم ننل رتبة أوليائك فأنلنا محبتهم، فمن أحب قوماً حشر معهم.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾: معطوفان على محل، (لتبين): إلا أنهما انتصبا على أنهما مفعول لهما؛ لأنهما فعلا الذي أنزل الكتاب، ودخل اللام على لتبين، لأنه فعل المخاطب لا فعل المنزل؛ وإنما ينتصب مفعولاً له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل، والذي اختلفوا فيه: البعث؛ لأنه كان فيهم من يؤمن به، ومنهم عبد المطلب، وأشياء من التحريم والتحليل والإنكار والإقرار، ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾: سماع إنصاف وتدبر؛ لأنّ من لم يسمع بقلبه؛ فكأنه أصم لا يسمع.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾

ذكر سيبويه الأنعام في باب ما لا ينصرف في الأسماء المفردة الواردة على أفعال؛ كقولهم: ثوب أكياش؛ ولذلك رجع الضمير إليه مفرداً، وأمّا (في بطونها): في سورة المؤمنين؛ فلأنّ معناه: الجمع، ويجوز أن يقال في الأنعام وجهان، أحدهما: أن يكون تكثير نعم[1] كأجبال في جبل، وأن يكون اسماً مفرداً مقتضياً لمعنى الجمع كنعم، فإذا ذكر فكما يذكر «نعم» في قوله [من الرجز]:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ ... يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتِجُونَهُ[2]

---

(١) قوله: «أن يكون تكثير نعم» لعله «تكسير» بالسين (ع).

(٢) في كل عام نعم تحوونه ... يلقحه قوم وتنتجونه
أربابه نوكى فلا يحمونه ... ولا يلاقون طعانا دونه
أنعم الأبناء تحسبونه؟ ... هيهات هيهات لما ترجونه

لصبي من بني أسد اسمه قيس بن الحصين الحارثي. والنعم: اسم جمع يعامل معاملة المفرد. وقد يراعى معناه فيعامل كالجمع. والأنعام عده سيبويه من المفردات المبنية على أفعال، كأخلاق وأمشاج، فيعامل بالتذكير تارة اعتباراً بلفظه، وبالتأنيث أخرى اعتباراً بمعناه. وقيل: هو جمع نعم كأسباب وسبب، والكلام تحسر وتحزن في صورة الأخبار، ويحتمل تقدير همزة الاستفهام التوبيخي أو التعجبي قبل في، أي: أفي كل عام تفعلون ذلك. وروي: أكل عام، بالاستفهام. وكل: نصب على الظرفية. وفيه الأخبار بالزمان عن اسم العين وهو نعم. إما لأنه يشبه المعنى لتجدده كل عام كما قاله ابن مالك وغيره في مثله. أو على تقدير مضاف كما ذهب إليه جمهور البصريين، أي: نهب نعم. وجملة تحوونه: صفة نعم، ويجوز أنها خبره، وكل عام: ظرف لتحوونه، وقدم لأنه =

وإذا أنث ففيه وجهان: أنه تكسير نعم، وأنه في معنى الجمع[1]، وقرئ: ﴿نُّسْقِيكُمْ﴾:

= محط الاستفهام. وعليه فالمسوغ للابتداء بنعم وقوعه في حيز الاستفهام. أو تقديم معمول الخبر عليه لأنه كتقديم الخبر. يلقحه قوم أي يطلقون فحوله على إنائه فتحمل عندهم. وتنتجونه أنتم: أي تستولدونه عندكم، كناية عن نهبه منهم. والأرباب الأصحاب. والنوكى: جمع أنوك كحمقى جمع أحمق وزنا ومعنى. والطعان: المطاعنة بالرماح، أي: لا يحاربون أمامه ويصبرون للحرب. وقوله أنعم: استفهام إنكاري توبيخي، أي: لا تحسبوا نعمنا نعم أولئك الحمقى الضعاف. وهيهات بمعنى بعد، وكرره للتوكيد وقطع الأطماع. وقوله: «لما ترجونه» متعلق بمحذوف، أي: أقول ذلك لما ترجونه، واللام فيه لتبيين الفاعل. ويجوز أنها زائدة فيه، والرجا: الطمع، ويجوز أنه الظن.

لقيس بن حصين في خزانة الأدب ١/ ٤٠٩، والكتاب ١/ ١٢٩، ولصبي من بني سعد قيل إنه قيس بن الحصين في المقاصد النحوية ١/ ٥٢٩، ولحصين بن زيد في شرح أبيات سيبويه ١/ ١١٩، ولرجل ضبي في الأغاني ١٦/ ٢٥٦، وبلا نسبة في لسان العرب (أبل)، (نعم)، والأشباه والنظائر ٣/ ١٠٢، والإنصاف ص ٦٢، وتخليص الشواهد ص ١٩١، والرد على النحاة ص ١٢٠، واللمع في العربية ص ١١٣، والمخصص.

(١) قال السمين الحلبي: قال الشيخ: أما ما ذكره عن سيبويه ففي كتابه في: «هذا بابُ ما كان على مثال مَفَاعِل ومفاعيل»، ما نَصُّه: «وَأَمَّا أَجْمَالٌ وفُلُوسٌ» فإنها تنصرف وما أشبهها؛ لأنها ضارعت الواحِدَ ألاَ تَرَى أَنَّكَ تقول: أَقْوَالٌ وأَقَاوِيل، وأَعْرَابٌ وأَعَارِيب، وَأَيْدٍ وَأَيَادٍ. فهذه الأحرف تخرج إلى مثال مَفَاعِل وَمَفَاعِيل، كما يُخْرَجُ إليه الواحد إذا كُثِّر للجمع، وأما مَفَاعِل ومفاعيل فلا يكسر، فَلاَ يخرج الجمعُ إلى بناءٍ غير هذا؛ لأنَّ هذا البناء هو الغاية، فلما ضارعت الواحد صُرفت». ثم قال: «وكذلك الفُعولُ لو كُسِّرت، مثل الفُلُوس، لأَنْ تُجْمَع جميعاً لأخرجته إلى فَعَائِلَ، كما تقول جَدودٌ وجَدَائِدُ، ورَكوبٌ ورَكَائِبُ. ولو فعلت ذلك بـ«مفَاعِلَ، وَمَفَاعِيلَ» لم تجاوز هذا البناء. ويقوي ذلك أن بعض العرب تقول أُبِيٌّ للواحد، فيضُمُّ الألف، وأَمَّا أَفْعَالٌ فقد يقع للواحد، من العرب من يقول: هو الأَنْعَامُ، قال الله عز وجل: ﴿نُّسْقِيكُمْ مِّمَّا فِي بُطُونِهِ﴾ وقال أبو الخطاب: «سمعتُ مِن العَرَب مَنْ يقول: هَذَا ثَوْبٌ أَكْيَاشٌ». قال: «والذي ذكر سيبويه هو الفرق بين مَفَاعِلَ وَمَفَاعِيلَ، وبين أَفْعَال وفُعُول، وإن كان الجميع أبنية للجمع، من حيث إنّ مفاعل ومفاعيل لا يجمعان، وأَفْعَالاً وفُعُولاً قد يخرجان إلى بناء يشبه مَفَاعِلَ أو مَفَاعِيلَ، فَلَمَّا كَانَا قد يخرجان إلى ذلك انصرفا، ولم ينصرف مَفَاعِلَ وَمَفَاعِيلَ لشبه ذَيْنك بالمفرد من حيثُ إنَّه يمكن جمعهما، وامتناع هذين مِنْ الجمع ثَمَّ قَوِيَ شبههما بالمفرد بأَنَّ بعض العرب يقول في أُبَيّ» أُتي بضم الهمزة، يعني أنه قد جاء نادراً «فُعُول» من غير المصدر للمفرد، وبأن بَعْضَ العرب قد يوقع أفعالاً للمفرد من حيث أفرد الضمير، فيقول: «هو الأَنْعَامُ»، وإنما ذلك على سبيل المجاز؛ لأن الأَنْعَامَ في معنى النُّعَم، والنَّعَمُ مُفْرَدٌ كما قال [من الوافر]:

تَرَكْنَا الْخَيْلَ والنَّعَمَ الْمُفَدَّى ... وَقُلْنَا لِلنِّسَاءِ: بِهَا. أَقِيمِي.

وذلك قال سيبويه: «وإنما أفعال فقد يقع للواحد». فقوله: «قد يقع للواحد» دليل على أنه ليس ذلك بالوضع، فقول الزمخشري: «أنه ذكره في الأسماء المفردة على أفعال» تحريف في اللفظ. وفهم عن سيبويه ما لم يرده، ويدل على ما قلناه أن سيبويه حين ذكر أبنية الأسماء المفردة نصَّ على أَنَّ أَفْعَالاً ليس من أبنيتها. قال سيبويه في باب ما لحقته الزيادة من بنات الثلاثة: «وليس في الكلام «أفعيلٌ»، ولا أفعولٌ، ولا أفعَال، ولا أفعيل، ولا أفعال. إلا أن تُكَسِّرَ عليه اسماً للجمع». قال: «فهذا نصٌّ منه على أَنَّ «أفعالاً» لا يكون في الأسماء المفردة». قُلْتُ: الذي ذكره الزمخشري هو =

بالفتح والضم، وهو استئناف، كأنه قيل: كيف العبرة، فقيل نسقيكم، ﴿مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾ أي: يخلق الله اللبن وسيطاً بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله، قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقرّ في كرشها طبخته، فكان أسفله فرثاً، وأوسطه لبناً، وأعلاه دماً، والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها، فتجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، وتبقي الفرث في الكرش ـ فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته/ ١٩٣ب لمن تفكر وتأمّل ـ وسئل شقيق عن الإخلاص؟ فقال: تمييز العمل من العيوب، كتمييز اللبن من بين فرث ودم، ﴿سَآئِغًا﴾: سهل المرور في الحلق، ويقال: لم يغص أحد باللبن قط، وقرئ: «سيغاً»: بالتشديد. «وسيغاً»؛ بالتخفيف، كهين ولين.

فإن قلت: أي فرق بين «من» الأولى والثانية؟

قلت: الأولى للتبعيض؛ لأن اللبن بعض ما في بطونها؛ كقولك: أخذت من مال زيد ثوباً، والثانية: لابتداء الغاية؛ لأن بين الفرث والدم مكان الإسقاء الذي منه يبتدأ، فهو صلة لنسقيكم؛ كقولك: سقيته من الحوض، ويجوز أن يكون حالاً من قوله: (لبناً): مقدماً عليه، فيتعلق بمحذوف، أي: كائناً من بين فرث ودم؛ ألا ترى أنه لو تأخر فقيل: لبناً من بين فرث ودم كان صفة له؛ وإنما قدم لأنه موضع العبرة، فهو قمن بالتقديم، وقد احتج بعض من يرى أن المني طاهر على من جعله نجساً، لجريه في مسلك البول بهذه الآية، وأنه ليس بمستنكر أن يسلك مسلك البول وهو طاهر، كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهراً.

﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

فإن قلت: بم تعلق قوله: ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ﴾؟

قلت: بمحذوف تقديره: ونسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب، أي: من عصيرها؛ وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه، وقوله: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾: بيان وكشف عن كنه الإسقاء، أو يتعلق بتتخذون، ومنه من تكرير الظرف للتوكيد؛ كقولك: زيد في الدار فيها، ويجوز أن يكون: (تتخذون): صفة موصوف محذوف؛ كقوله [من الرجز]:

= ظاهر عبارة سيبويه، وهو كافٍ في تسويغ عود الضمير مفرداً، وإن كان «أفعال» قد يقع موقع الواحد مجازاً، فإن ذلك ليس بضائر فيما نحن بصدده، ولم يحرف لفظه، ولم يفهم عنه غير مراده، لما ذكرته من هذا المعنى الذي قصده، وقيل: إنما ذُكِّر الضمير، لأنه يعود على البعض، وهو الإناث. لأن الذكور لا ألبان لها، فكأن العبرة هي في بعض الأنعام. انتهى. الدر المصون.

. . . . . بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ[1]

تقديره: ومن ثمرات النخيل والأعناب ثمر تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً؛ لأنهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر.

فإن قلت: فإلام يرجع الضمير في منه إذا جعلته ظرفاً مكرّراً؟

قلت: إلى المضاف المحذوف الذي هو العصير كما رجع في قوله تعالى: ﴿أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ إلى الأهل المحذوف، والسكر: الخمر، سميت بالمصدر من سَكِرَ سُكْراً أو سَكَراً؛ نحو: رَشِدَ رُشْداً ورَشَداً؛ قال [من الوافر]:

وَجَاءُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا فَأَجْلَى الْيَوْمَ وَالسُّكْرَانُ صَاحِي[2]

وفيه وجهان: أحدهما: أن تكون منسوخة، وممن قال بنسخها: الشعبي والنخعي، والثاني: أن يجمع بين العتاب والمنة، وقيل: السكر: النبيذ، وهو عصير العنب والزبيب والتمر إذا طبخ حتى يذهب ثلثاه، ثم يترك حتى يشتدّ، وهو حلال عند أبي حنيفة إلى حدّ السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله ﷺ: «الخَمْرُ حَرَامٌ لِعَيْنِهَا وَالسَّكَرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ» (٨٢٩)، وبأخبار جمة، ولقد صنف شيخنا أبو علي الجبائي ـ قدّس الله روحه ـ غير كتاب في

---

٨٢٩ ـ أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/ ١٢٤) عن علي مرفوعاً، وأخرجه النّسائي (٨/ ٣٢١) رقم (٥٦٨٣، =

---

(١) مالك عندي غير سوط وحجر وغير كبداء شديدة الوتر
جادت بكفي كان من أرمى البشر
السوط: آلة للضرب، معمولة من الجلد. وكبداء صفة لمحذوف، أي قوس كبداء غليظة الكبد، أي المقبض. وقيل: واسعته. والوتر: حبل تشد به القوس. وجادت: صارت جيدة. ويروى بدله: ترمى. وشبه الرمي لها مجاز عقلي. وكفي مضاف لمحذوف قامت صفته في اللفظ مقامه، وهي جملة «كان» وحذف المنعوت الأول مطرد، والثاني ضرورة؛ لأنه لا يجوز حذف المنعوت إلا إذا كان بعض اسم مجرور بمن أو «في»، أو صلح نعته لمباشرة العامل. و«كان» هنا ليس للمضي، بل لمجرد الثبوت والدوام، أي: بكفي رجل متصف بأنه دائماً من أشد الناس رمياً، يعني نفسه. ففيه تجريد. يقول لعدوه: ليس لك عندي غير هذه الأشياء، وهو ضرب من التهديد والتقريع: هدده بالسوط عند القرب، وبالحجر عند المفارقة، وبالسهم عند البعد: ويروى «سهم» بدل سوط، فيضيع الترتيب.
ينظر: الخصائص (٢/ ٣٦٧)، وابن يعيش (٣/ ٥٩)، والإنصاف (١١/ ١١٥)، والمغني (١/ ١٦٠)، والتصريح (٢/ ١١٩)، خزانة الأدب (٥/ ٦٥)، الدرر (٦/ ٢٢)، شرح الأشموني ٢/ ٤٠١، شرح المفصل (٣/ ٦٢)، لسان العرب (كون)، (منن)، مجالس ثعلب (٣/ ٥١٣)، المحتسب ٢/ ٢٢٧، المقاصد النحوية (٤/ ٦٦)، المقتضب (٢/ ٣٩)، المقرب (١/ ٢٢٧)، همع الهوامع (٢/ ١٢٠)، تاج العروس (كون، منن) الدر المصون (٣/ ٢٠٦).
(١) تقدم.

تحليل النبيذ، فلما شيخ[1] وأخذت منه السنّ العالية قيل له: لو شربت منه ما تتقوى به، فأبى. فقيل له: فقد صنفت في تحليله، فقال: تناولته الدعارة[2] فسمج في المروءة، وقيل: السكر: الطُعْم[3]؛ وأنشد [امن الرجز]:

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الكِرَامِ سَكَرَا

أي: تنقلت بأعراضهم[4]، وقيل: هو من الخمر، وإنه إذا ابترك[5] في أعراض الناس، فكأنه تخمر بها، والرزق الحسن: الخل، والرب، والتمر، والزبيب، وغير ذلك، ويجوز أن يجعل السكر رزقاً حسناً، كأنه قيل: تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن.

﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾

الإيحاء إلى النحل: إلهامها والقذف في قلوبها وتعليمها على وجه هو أعلم به، لا سبيل لأحد إلى الوقوف عليه، وإلا فنيقتها[6] في صنعتها، ولطفها في تدبير أمرها، وإصابتها فيما يصلحها، دلائل بينة شاهدة على أنّ الله أودعها علماً بذلك وفطنها، كما أولى أولي العقول عقولهم، وقرأ يحيى بن وثاب: (إلى النحل): بفتحتين، وهو مذكر كالنخل، وتأنيثه على المعنى: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى﴾ هي: أنّ المفسرة؛ لأنّ الإيحاء فيه معنى القول، وقرئ: ﴿بُيُوتًا﴾: بكسر الباء لأجل الياء، و﴿يَعْرِشُونَ﴾: بكسر الراء وضمها، يرفعون من سقوف البيوت، وقيل: ما يبنون للنحل في الجبال والشجر والبيوت من الأماكن التي

= ٥٦٨٤) من حديث ابن عباس مرفوعاً.

قال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه النّسائي من حديث ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ مرفوعاً، ورواه العقيلي من وجه آخر عن علي مرفوعاً وفيه محمد بن الفرات الكوفي وهو منكر الحديث. انتهى.

---

(١) قوله: «فلما شيخ وأخذت منه السن العالية» في الصحاح: شاخ الرجل يشيخ شيخاً بالتحريك، وشيخ تشييخاً: أي شاخ (ع).
(٢) قوله: «فقال تناولته الدعارة» في الصحاح: الدعارة الفسق والخبث (ع).
(٣) قوله: «وقيل السكر الطعم» في الصحاح: الطعم بالضم: الطعام (ع).
(٤) قوله: «أي تنقلت بأعراضهم» في الصحاح: النقل بالضم ما ينتقل به على الشراب (ع).
(٥) قوله: «وإنه إذا ابترك» في الصحاح: ابترك، أي أسرع في العدو وجد (ع).
(٦) قوله: «وإلا فنيقتها» أي تأنقها. أفاده الصحاح (ع).

تتعسل فيها، والضمير في (يعرشون): للناس.

فإن قلت: ما معنى «من» في قوله: ﴿أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾، وهلا قيل في الجبال وفي الشجر؟

قلت: أريد معنى البعضية، وألاّ تبنى بيوتها[1] في كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا في كل مكان منها، ﴿وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾: إحاطة بالثمرات التي تجرسها النحل[2]، وتعتاد أكلها، أي: أبني البيوت، ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها، فإذا أكلتها: ﴿فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ﴾ أي: الطرق التي ألهمك وأفهمك في عمل العسل، أو: فاسلكي ما أكلت في سبل ربك، أي: في مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المرّ عسلاً من أجوافك ومنافذ مآكلك، أو: إذا أكلت الثمار في المواضع البعيدة من بيوتك، فاسلكي إلى بيوتك راجعة سبل ربك، لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها، فقد بلغني أنها ربما أجدب عليها ما حولها فتسافر إلى البلد البعيد في طلب النجعة، أو أراد بقوله: (ثم كلي) ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي في طلبها في مظانها سبل ربك، ﴿ذُلُلًا﴾: جمع ذلول، وهي: حال من السبل؛ لأنّ الله ذللها لها ووطأها وسهلها؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا﴾ [الملك: ١٥]، أو من الضمير في (فاسلكي) أي: وأنت ذلل منقادة لما أمرت به غير ممتنعة،/ ١٩٤أ ﴿شَرَابٌ﴾: يريد العسل؛ لأنه مما يشرب: ﴿مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾: منه أبيض وأسود وأصفر وأحمر، ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾؛ لأنه من جملة الأشفية والأدوية المشهورة النافعة، وقل معجون من المعاجين لم يذكر الأطباء فيه العسل، وليس الغرض أنه شفاء لكل مريض، كما أن كل دواء كذلك، وتنكيره: إمّا لتعظيم الشفاء الذي فيه، أو: لأن فيه بعض الشفاء، وكلاهما محتمل، وعن النبي ﷺ أن رجلاً جاء إليه فقال: إن أخي يشتكي بطنه، فقال: «ٱذْهَبْ وَٱسْقِهِ العَسَلَ» فذهب ثم رجع فقال: قد سقيته فما نفع، فقال: «ٱذْهَبْ وَٱسْقِهِ عَسَلاً» فقد صدق الله وكذب بطن أخيك، فسقاه فشفاه الله فبرأ؛ كأنما أنشط من عقال،

---

(١) قال محمود: «قلت أريد معنى البعضية وأن لا تبنى بيوتها... إلخ» قال أحمد: ويتزين هذا المعنى الذي نبه عليه الزمخشري في تبعيض «من» المتعلقة باتخاذ البيوت بإطلاق الأكل، كأنه تعالى وكل الأكل إلى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وإن حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض؛ لأن مصلحة الأكل على الإطلاق باستمراء مشتهاها منه. وأما البيوت فلاتحصل مصلحتها في كل موضع. ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الأمر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والإطلاق لها في تناول الثمرات، كما تقول: راع الحلال فيما تأكله، ثم كل أي شيء شئت، فتوسط ثم لتفاوت الحجر والإطلاق، فسبحان اللطيف الخبير.

(٢) قوله: «بالثمرات التي تجرسها النحل» في الصحاح «الجرس» الصوت الخفي، وجرست النحل العرفط إذا أكلته. وفيه أيضاً «العرفط» شجر من العضاه. وفيه «العضاه» كل شجر يعظم وله شوك (ع).

(٨٣٠) وعن عبد الله بن مسعود: العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور، فعليكم بالشفاءين: القرآن والعسل، (٨٣١) ومن بدع تأويلات الرافضة: أن المراد بالنحل: عليّ وقومه، وعن بعضهم أنه قال عند المهدي: إنما النحل: بنو هاشم، يخرج من

---

٨٣٠ ـ أخرجه البخاري (١٠/ ١٤٦) «كتاب الطب، باب الدواء بالعسل حديث رقم (٥٦٨٤)، ومسلم (٧/ ٤٦٠) نووي كتاب السلام، باب التداوي بسقي العسل حديث رقم (٢٢١٧)، والبغوي في شرح السنة (٦/ ٢٤٩)، كتاب الطب والرقي باب المداواة بالعسل، والحاكم (٤/ ٤٠٢).

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من حديث أبي سعيد وغفل الحاكم فاستدركه.

٨٣١ ـ رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ١٢٦) (٣٠٠١٩ ـ ٣٠٠٢٠) من طريقين:

الأولى: حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن خيثمة عن الأسود قال: قال عبد الله: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل».

الثانية: حدثنا وكيع عن سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال «العسل...»

قلت: وقع في المطبوع من «المصنف» «عن أبي إسحاق عن أبي الأسود»، وليس كذلك إنما هو أبو الأحوص؛ كما يأتي تحقيقه.

وأخرجه ابن ماجه في سننه (٢/ ١١٤٢) ـ كتاب الطب (٣١) ـ باب العسل (٧) (٣٤٥٢)، وابن عدي في الكامل في ترجمة زيد بن الحباب (٣/ ١٠٦٥)، (٣/ ١٢٥٣)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٠٠) ـ كتاب الطب.

وأبو نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري (٧/ ١٣٣). والخطيب في تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٥).

كلهم من طريق زيد بن الحباب، ثنا سفيان عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالشفاءين...» فذكره مرفوعاً. وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

وقال أبو نعيم: غريب من حديث الثوري تفرد به عنه زيد بن الحباب. وزيد بن الحباب هذا قال فيه الحافظ في التقريب (١/ ٢٧٣): صدوق يخطئ في حديث الثوري. قلت: وأخرجه موقوفاً أيضاً الحاكم في مستدركه (٤/ ٢٠٠) من طريق وكيع عن سفيان به، والطبراني في «معجمه الكبير» (٩/ ٢٥٢) (٩٠٧٦) من طريق أبي الأحوص عن أبي إسحاق به، والدارقطني في العلل (٥/ ٣٢٣) من طريق يحيى عن سفيان عن أبي إسحاق به.

وقال: ووقفه يحيى القطان وأبو حذيفة عن الثوري وهو الصحيح.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

لم أره هكذا. وفي الكامل لابن عدي من رواية لابن إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله رفعه: «عليكم بالشفاءين: العسل شفاء من كل داء. والقرآن شفاء لما في الصدور»، وقال: لم يرفعه عن وكيع عن الثوري إلا سفيان بن وكيع. قال: ورواه زيد بن الحباب عن الثوري أيضاً مرفوعاً اهـ.

وأخرجه ابن ماجه وابن خزيمة والحاكم من رواية زيد بن الحباب بهذا الإسناد مرفوعاً بلفظ: «عليكم بالشفاءين: العسل والقرآن»، وابن أبي شيبة عن وكيع مرفوعاً ولفظه: «العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور»، ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم والثعلبي أيضاً. قال ابن أبي شيبة: وحدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن حبية عن الأسود عن عبد الله قال: «عليكم بالشفاءين: القرآن والعسل». انتهى.

بطونهم العلم، فقال له رجل: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدي وحدث به المنصور، فاتخذوه أضحوكة من أضاحيكهم.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

﴿إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾: إلى أخسه وأحقره، وهو خمس وسبعون سنة عن عليّ ـ رضي الله عنه ـ وتسعون سنة عن قتادة؛ لأنه لا عمر أسوأ حالاً من عمر الهرم، ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾: ليصير إلى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان، وأن يعلم شيئاً ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه إن سئل عنه، وقيل: لئلا يعقل من بعد عقله الأوّل شيئاً، وقيل: لئلا يعلم زيادة علم على علمه.

﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ ۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُوا۟ بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ۚ أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾﴾

أي: جعلكم متفاوتين في الرزق، فرزقكم أفضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم وإخوانكم، فكان ينبغي أن تردوا فضل ما رزقتموه عليهم، حتى تتساووا في الملبس والمطعم، كما يحكى عن أبي ذرّ أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ، فَأَكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تُطْعِمُونَ» (٨٣٢) فما رؤي عبده عبد ذلك إلا ورداؤه رداؤه وإزاره إزاره من غير تفاوت، ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾: فجعل ذلك من جملة جحود النعمة، وقيل: هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء، فقال لهم: أنتم لا تسوّون بينكم وبين عبيدكم فيما أنعمت به عليكم، ولا تجعلونهم فيه شركاء، ولا ترضون ذلك لأنفسكم،

---

٨٣٢ ـ أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ٨٣) ـ كتاب الأدب (٧٨) باب ما ينهى عن السباب واللعن (٤٤) ـ حديث رقم (٦٠٥٠). ومسلم (٦/ ١٤٦ ـ نووي) كتاب الأيمان (٢٧) ـ باب إطعام المملوك مما يأكل وإلباسه (١٠) حديث رقم (٣٨) (١٦٦١).
وأبو داود (٤/ ٣٤٠) ـ كتاب الأدب ـ باب في حق المملوك ـ (٥١٥٧)، والترمذي (٤/ ٣٣٤) ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في الإحسان إلى الخدم ـ (١٩٤٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢١٦) ـ كتاب الأدب (٣٣) ـ باب الإحسان إلى المماليك (١٠) (٣٦٩٠)، وأحمد في المسند (٥/ ١٥٨ ـ ١٦١)؛
كلهم من حديث المعرور بن سويد قال: رأيت أبا ذر وعليه صلة وعلى غلامه مثلها... الحديث.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
متفق عليه وأخرجه أصحاب السنن. انتهى.
وعن الزيادة المشار إليها عقب الحديث قال: لم أره.

فكيف رضيتم أن تجعلوا عبيدي لي شركاء، وقيل: المعنى: أنّ الموالي والمماليك أنا رازقهم جميعاً، فهم في رزقي سواء، فلا تحسبن الموالي أنهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئاً من الرزق؛ فإنما ذلك رزقي أجريه إليهم على أيديهم، وقرئ: «يجحدون»: بالتاء والياء.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾

﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: من جنسكم، وقيل: هو خلق حواء من ضلع آدم، والحفدة: جمع حافد، وهو الذي يحفد، أي: يسرع في الطاعة والخدمة، ومنه قول القانت: وإليك نسعى ونحفد؛ وقال [من الكامل]:

حَفَدَ الْوَلاَئِدُ بَيْنَهُنَّ وَأُسْلِمَتْ ... بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الأَجْمَالِ[1]

واختلف فيهم فقيل: هم الأختان على البنات[2]؛ وقيل: أولاد الأولاد، وقيل: أولاد المرأة من الزوج الأوّل، وقيل المعنى: وجعل لكم حفدة، أي: خدماً يحفدون في مصالحكم ويعينونكم، ويجوز أن يراد بالحفدة: البنون أنفسهم؛ كقوله: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل: ٦٧]، كأنه قيل: وجعل لكم منهنّ أولاداً هم بنون وهم حافدون، أي: جامعون بين الأمرين، ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: يريد بعضها؛ لأنّ كل الطيبات في الجنة، وما طيبات الدنيا إلا أنموذج منها، ﴿أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ وهو: ما يعتقدون من منفعة الأصنام وبركتها وشفاعتها، وما هو إلا وهم باطل لم يتوصلوا إليه بدليل ولا أمارة، فليس لهم إيمان إلا به، كأنه شيء معلوم مستيقن، ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز: هم كافرون بها منكرون لها، كما ينكر المحال الذي لا يتصوره العقول، وقيل: الباطل ما يسوّل لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما، ونعمة الله: ما أحل لهم.

---

(١) يقول: حفد من باب ضرب، أي أسرع الولائد: جمع وليد وهي البنت الصغيرة، بينهن: أي بين النساء الطاعنات. وأسلمت: مبني للمجهول، أي تركت في أكف الظعائن والولائد. أزمة الأجمال: جمع زمام، وذلك دليل على حفظهن وصونهن، حتى لا يتخلل ركبهن إلا الولائد.
البيت للفرزدق، ينظر زيادات الطبعة الأولى من جمهرة اللغة ص (٥٠٤)، لجميل بثينة في ملحق ديوانه ص (٢٤٦)، بلا نسبة في لسان العرب (حفد)، جمهرة اللغة ص (٥٠٤)، كتاب العين (٣/ ١٨٥).

(٢) قوله: «فقيل هم الأختان على البنات» في الصحاح: الحفدة الأعوان والخدم. وفيه أيضاً: الختن بالتحريك كل من كان من قبل المرأة كالأب والأخ، وهم الأختان، كذا عند العرب وأما عند العامة فختن الرجل زوج ابنته اهـ فلعله أيضاً ضمن الأختان معنى الأعوان أو الخلفاء فعداه بعلى. وفي الخازن عن ابن مسعود: الحفدة أختان الرجل على بناته (ع).

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾﴾

الرزق يكون بمعنى: المصدر، وبمعنى: ما يرزق، فإن أردت المصدر نصبت به ﴿شَيْـًٔا﴾؛ كأي: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾﴾ [البلد: ١٤، ١٥] على: لا يملك أن يرزق شيئاً، وإن أردت المرزوق كان شيئاً بدلاً منه، بمعنى: قليلاً، ويجوز أن يكون تأكيداً للا يملك: أي لا يملك شيئاً من الملك، و﴿مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: صل للرزق إن كان مصدراً بمعنى: لا يرزق من السموات مطراً، ولا من الأرض نباتاً، أو صفة إن كان اسماً لما يرزق، والضمير في ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾: لما؛ لأنه في معنى: الآلهة، بعد ما قيل: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾: على اللفظ، ويجوز أن يكون للكفار، يعني: ولا يستطيع هؤلاء ـ مع أنهم أحياء متصرفون أولو ألباب ـ من ذلك شيئاً، فكيف بالجماد الذي لا حس به؟

فإن قلت: ما معنى قوله: ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بعد قوله: ﴿لَا يَمْلِكُ﴾؟ وهل هما إلا شيء واحد؟

قلت: ليس في (لا يستطيعون): تقدير راجع؛ وإنما المعنى: لا يملكون أن يرزقوا، منفية عنهم أصلاً؛ لأنهم موات، إلا أن يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة للتوكيد أو يراد: أنهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم أن يملكوه، ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم.

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾﴾

﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ﴾: تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به[1]؛ لأن من يضرب الأمثال مشبه حالاً بحال، وقصة بقصة، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ﴾: كنه ما تفعلون وعظمه،/ ١٩٤ب وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم؛ لأنّ العقاب على مقدار الإثم، ﴿وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾: كنهه وكنه عقابه؛ فذاك هو الذي جرّكم إليه وجرأكم عليه، فهو تعليل للنهي عن الشرك، ويجوز أن يراد: فلا تضربوا لله الأمثال، إنّ الله يعلم كيف يضرب الأمثال، وأنتم لا تعلمون.

---

(١) قال محمود: «تمثيل للإشراك بالله والتشبيه به... إلخ» قال أحمد: فعلى تفسيره الأول يكون حموله (لله) متعلقاً بالأمثال، كأنه قيل: فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه. وعلى الثاني يكون متعلقاً بالفعل الذي هو تضربوا، كأنه قيل: فلا تمثلوا لله الأمثال، فإن ضرب المثل إنما يستعمل من العالم لغير العالم، ليبين له ما خفي عنه، والله تعالى هو العالم وأنتم لا تعلمون، فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة، والله أعلم.

﴿۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾

ثم علمهم كيف تضرب فقال: مثلكم في إشراككم بالله الأوثان: مثل من سوّى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين حرّ مالك قد رزقه الله مالاً فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء.

فإن قلت: لم قال: ﴿مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾[1]، وكل عبد مملوك، وغير قادر على التصرف؟

قلت: أما ذكر المملوك: فليميز من الحرّ؛ لأن اسم العبد يقع عليهما جميعاً؛ لأنهما من عباد الله، وأما ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾: فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له؛ لأنهما يقدران على التصرف، واختلفوا في العبد، هل يصح له ملك؟ والمذهب الظاهر أنه لا يصحّ له.

---

(١) عاد كلامه. قال: «فإن قلت لم قال مملوكاً لا يقدر على شيء... إلخ» قال أحمد: والقول بصحة ملكه هو مذهب الإمام مالك رضي الله عنه. وفي هذه الآية له معتصم، لأن الله تعالى مثل بالمملوك لأنه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالباً، ثم أفصح عن المعنى المقصود: وهو أن هذا المملوك ليس بمن اتفق أن ملكه سيده فملك وقدر، بل هو على الأصل المعهود في المماليك عاجز غير قادر، ولو لم يكن ملك العبد متصوراً ومعهوداً شرعاً وعرفاً، لكان قوله تعالى ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ كالتكرار لما فهم من قوله ﴿عَبْدًا مَّمْلُوكًا﴾ وقول القائل يقول إنه احتراز من المكاتب، بعيد من فصاحة القرآن: فإنه لو كان العبد لا يصح منه ملك ألبتة إلا في حال الكتابة، لكانت إرادته حينئذ من إطلاق اللفظ، كالألغاز الذي لا يعهد مثله في بيان القرآن واستيلائه على صنوف البلاغة. ومثل هذا أنكره الإمام أبو المعالي على من حمل قوله عليه السلام: «أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها» على المكاتبة لبعد القصد إليها على شذوذها. وأما الاحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بأن المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف، وإن لم يكن المأذون له مالكاً عند هذا القائل. وهذا بعيد عن مطابقة قوله ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا﴾ فإنها توجب أن يكون المراد بقوله ﴿لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ لا يملك شيئاً من الرزق، كما تقول في الحر المفلس: فلان لا يقدر على شيء، أي لا يملك شيئاً يقدر على التصرف فيه. فتلخص من هذا البحث أن في الآية مجالاً لنصرة مذهب مالك، وإن كان لقائل أن يقول: هذه الصفة لازمة كالإيضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك، كأنه قيل: وإنما ضربنا المثل بالمملوك؛ لأن صفته اللازمة له وسمته المعروفة به، أنه لا يقدر على شيء. أي لا يصح منه ملك، وكثيراً ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد منهما تقييد ولا تخصيص، ولكن إيضاح وتفسير. ومن ذلك قوله تعالى ﴿ومن يدع مع الله تعالى، لا برهان له به﴾ فقوله لا برهان له به. لا يقصد به تمييز له سوى (الله) من (إله) لأن كل مدعو إلهاً غير الله تعالى، لا برهان به. وإنما أريد أن عدم البرهان من لوازم دعاء إله غير الله تعالى، فهذا أقصى ما يمكن أن ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد. ولنا أن نقول في دفعه أن الأصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد. وأما الوارد من ذلك لازماً فنادر على خلاف الأصل، والله الموفق.

فإن قلت: (من) في قوله: ﴿وَمَن رَّزَقْنَٰهُ﴾ ما هي؟

قلت: الظاهر أنها موصوفة، كأنه قيل: وحراً رزقناه؛ ليطابق عبداً، ولا يمتنع أن تكون موصولة.

فإن قلت: لم قيل: ﴿يَسْتَوُۥنَۚ﴾ على الجمع؟

قلت: معناه: هل يستوي الأحرار والعبيد؟

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾

الأبكم: الذي ولد أخرس، فلا يَفهم ولا يُفهم، ﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ﴾ أي: ثقل وعيال على من يلي أمره ويعوله، ﴿أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ﴾: حيثما يرسله ويصرفه في مطلب حاجة أو كفاية مهم، لم ينفع ولم يأت بنجح، ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن﴾: هو سليم الحواس نفاعاً ذو كفايات، مع رشد وديانة، فهو: ﴿يَأْتِ أَمْرُ﴾: الناس ﴿بِٱلْعَدْلِ﴾، والخير، ﴿وَهُوَ﴾: في نفسه ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: على سيرة صالحة ودين قويم، وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته وألطافه ونعمه الدينية والدنيوية، وللأصنام التي هي أموات لا تضر ولا تنفع، وقرئ: «أينما يوجه»: بمعنى: أينما يتوجه، من قولهم: أينما أوجه ألق سعداً، وقرأ ابن مسعود: «أينما يوجه»: على البناء للمفعول.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾﴾

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ أي: يختصّ به علم ما غاب فيهما عن العباد، وخفي عليهم علمه، أو أراد بغيب السموات والأرض: يوم القيامة، على أن علمه غائب عن أهل السموات والأرض لم يطلع عليه أحد منهم، ﴿إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُۚ﴾ أي: هو عند الله وإن تراخى، كما تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه: هو كلمح البصر أو هو أقرب، إذا بالغتم في استقرابه؛ ونحوه قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحج: ٤٧]، أي: هو عنده دان وهو عندكم بعيد، وقيل: المعنى: أن إقامة الساعة، وإماتة الأحياء وإحياء الأموات من الأولين والآخرين، يكون في أقرب وقت وأوحاه[1]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾: فهو يقدر على أن يقيم الساعة ويبعث الخلق؛ لأنه بعض المقدورات، ثم دل على قدرته بما بعده.

---

(١) قوله: «وأوحاه» أي: وأسرعه. أفاده الصحاح (ع).

﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾﴾

قرئ: ﴿أُمَّهَٰتِكُمْ﴾: بضم الهمزة وكسرها، والهاء مزيدة في أمات، كما زيدت في أراق، فقيل: أهراق، وشذت زيادتها في الواحدة؛ قال [من الرجز]:

أُمِّـهَـتِـي خِـنْـدِفُ وَٱلْـيَـاسُ أَبِـي[1]

﴿لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾: في موضع الحال، ومعناه: غير عالمين شيئاً من حق المنعم الذي خلقكم في البطون، وسوّاكم وصوّركم، ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة، وقوله: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾ معناه: وما ركب فيكم هذه الأشياء إلا آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به، من شكر المنعم وعبادته، والقيام بحقوقه، والترقي إلى ما يسعدكم، والأفئدة في فؤاد، كالأغربة في غراب، وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة، والقلة إذا لم يرد في السماع غيرها، كما جاء شسوع في جمع شسع لا غير، فجرت ذلك المجرى.

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾

قرئ: «لم يروا»: بالتاء والياء، (مسخرات): مذللات للطيران بما خلق لها من الأجنحة والأسباب المواتية[2] لذلك، والجوّ: الهواء المتباعد من الأرض في سمت العلوّ

---

(١) إني لدى الحرب رخي اللبب معتزم الصولة عالي النسب
أمهتي خندف وإلياس أبي
لقصي بن كلاب بن مرة جد النبي ﷺ. ورخي اللبب. رحب الصدر واسع البال. واللبب في الأصل جبل في صدر المطية يمنع الرحلة من الاستئخار، أطلق على ذلك للمجاورة. ومعتزم: مصمم. والصولة: تجشم المكروه واقتحامه. وزيادة الهاء في أمهة شاذ. وخندف، بكسر الخاء والدال: امرأة إلياس بن مضر، وهذا لقبها، واسمها ليلى. والخندفة: مشية كالهرولة. وإطلاق الأم والأب على الجدة والجد: مجاز لمطلق الأصالة.
ينظر: خزانة الأدب ٧/ ٣٧٩، والدرر: ١/ ٨٣، وسمط اللآلي ص ٩٥، وشرح شواهد الشافية ص ٣٠١، ولسان العرب: (سلك)، (أمه)، والمقاصد النحوية: ٤/ ٥٦٥، وديوان الأدب: ٤/ ١٧٥، ٣/ ٤١٩، وتاج العروس (هول)، (أمم)، وأمالي القالي: ٢/ ٣٠١، وسر صناعة الإعراب: ٢/ ٥٦٤، وشرح التصريح: ٢/ ٣٦٢، وشرح المفصل لابن يعيش: ١٠/ ٤، والمحتسب: ٢/ ٢٢٤، والممتنع في التصريف: ١/ ٢١٧، وهمع الهوامع: ١/ ٢٣، وتهذيب اللغة: ٦/ ٤٧٥، ١٥/ ٦٣١، وجمهرة اللغة ص ١٠٨٤، ١٣٠٨، والمخصص: ١٣/ ١٧١.

(٢) قوله: «والأسباب المواتية لذلك» في الصحاح آتيته على ذلك الأمر مؤاتاة إذا وافقته والعامة تقول: واتيته (ع).

والسكاك[1] أبعد منه، واللوح مثله: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾: في قبضهن وبسطهن ووقوفهن، ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾: بقدرته.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾

﴿مِّنۢ بُيُوتِكُمْ﴾: التي تسكنونها من الحجر والمدر والأخبية وغيرها، والسكن: فعل بمعنى: مفعول، وهو ما يسكن إليه وينقطع إليه من بيت أو إلف، ﴿بُيُوتًا﴾: هي القباب والأبنية من الأدم والأنطاع، ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾: ترونها خفيفة المحمل في الضرب والنقض والنقل، ﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ﴾ أي: يوم ترحلون خف عليكم حملها ونقلها[2]، ويوم تنزلون وتقيمون في مكان لم يثقل عليكم ضربها، أو هي خفيفة عليكم في أوقات السفر والحضر جميعاً، على أنّ اليوم بمعنى: الوقت، ﴿وَمَتَٰعًا﴾: وشيئاً ينتفع به، ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: إلى أن تقضوا منه أوطاركم، أو إلى أن يبلى ويفنى، أو إلى أن تموتوا، وقرئ: «يوم ظعنكم»: بالسكون.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾

﴿مِّمَّا خَلَقَ﴾: من الشجرة وسائر المستظلات، ﴿أَكْنَٰنًا﴾: جمع كنّ، وهو ما يستكنّ به من البيوت المنحوتة في الجبال والغيران والكهوف، ﴿سَرَٰبِيلَ﴾: هي القمصان والثياب من الصوف والكتان[3] والقطن وغيرها، ﴿تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾: لم يذكر البرد؛ لأنّ الوقاية من الحرّ أهمّ عندهم، وقلما يهمهم البرد؛ لكونه يسيراً محتملاً، وقيل: ما يقي من الحرّ يقي من البرد[4]، فدل ذكر الحرّ على البرد، ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ يريد:

---

(١) قوله: «والسكاك أبعد منه» في الصحاح السكاك والسكاكة الهواء الذي يلاقي أعنان السماء وفيه أيضاً أعنان السماء صفائحها وما اعترض من أقطارها. والعنان بالفتح السحاب (ع).

(٢) قال محمود: «المراد يخف عليكم حملها ونقلها... إلخ» قال أحمد: والتفسير الأول أولى؛ لأن ظهور المنة في خفتها إنما يتحقق في حال السفر. وأما المستوطن فغير مثقل، وما أحسن قول الزمخشري في يوم إقامتكم: أن المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم، والله أعلم.

(٣) قال محمود: «هي القمصان والثياب من الصوف والكتان وغيرها... إلخ» قال أحمد: يعني عند العرب وخصوصاً قطان الحجاز، وهم الأصل في هذا الخطاب.

(٤) عاد كلامه. قال: «وقيل إن ما يقي الحر يقي البرد فدل ذكره عليه» قال أحمد: والأول أظهر. ألا =

الدروع والجواشن[1] والسربال عامّ يقع على كل ما كان من حديد وغيره، ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ أي: تنظرون في نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له، وقرئ: «تسلمون»: من السلامة، أي: تشركون فتسلمون من العذاب، أو تسلم قلوبكم/ ١٩٥أ من الشرك، وقيل: تسلمون من الجراح بلبس الدروع.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾: فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعد ما أدّيت ما وجب عليك من التبليغ، فذكر سبب العذر، وهو البلاغ؛ ليدل على المسبب، ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾: التي عددناها؛ حيث يعترفون بها وأنها من الله، ﴿ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾: بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم: هي من الله، ولكنها بشفاعة آلهتنا، وقيل: إنكارهم قولهم ورثناها من آبائنا. وقيل: قولهم لولا فلان ما أصبت كذا لبعض نعم الله؛ وإنما لا يجوز التكلم بنحو هذا إذا لم يعتقد أنها من الله وأنه أجراها على يد فلان وجعله سبباً في نيلها، ﴿وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ أي: الجاحدون غير المعترفين، وقيل: (نعمة الله): نبوّة محمد عليه السلام ـ كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عناداً وأكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم.

فإن قلت: ما معنى: ثم؟

قلت: الدلالة على أن إنكارهم أمر مستبعد بعد حصول المعرفة؛ لأنّ حق من عرف النعمة أن يعترف لا أن ينكر.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿شَهِيدًا﴾: نبياً يشهد لهم وعليهم بالإيمان والتصديق، والكفر والتكذيب، ﴿ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: في الاعتذار، والمعنى: لا حجة لهم، فدل بترك الإذن على أن لا حجة لهم ولا عذر، وكذا عن الحسن، ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾: ولا هم يسترضون، أي: لا يقال لهم أرضوا ربكم؛ لأن الآخرة ليست بدار عمل.

= ترى إلى تقديم المنة بالظلال التي تقي من الضحا، في قوله تعالى ﴿جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا﴾ فدل على أن الأهم عند المخاطبين وقاية الحر، فامتن الله عليهم بأعظم نعمه موقعاً عندهم. وقول القائل «إن ما يقي الحر يقي البرد» مشهود عليه بالعرف، فإن الذي يتقى به الحر من القمصان رقيقها ورفيعها، وليس ذلك من لبوس البرد، بل لو لبس الإنسان في كل واحد من الفصلين ـ القيظ والبرد ـ لباس الآخر، يعد من الثقلاء.

(١) قوله: «والجواشن» في الصحاح: الجوشن الصدر. والجرشن الدرع (ع).

فإن قلت: فما معنى ثم هذه؟

قلت: معناها: أنهم يمنون[1] بعد شهادة الأنبياء بما هو أطم منها، وهو أنهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم في إلقاء معذرة ولا إدلاء بحجة، وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره: واذكر يوم نبعث، أو يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه، وكذلك إذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم، ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾؛ كقوله: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنبياء: ٤٠].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾﴾

إن أرادوا بالشركاء آلهتهم، فمعنى: ﴿شُرَكَآؤُنَا﴾: آلهتنا التي دعوناها شركاء، وإن أرادوا الشياطين، فلأنهم شركاؤهم في الكفر وقرناؤهم في الغيّ، و﴿نَدْعُوا۟﴾ بمعنى: نعبد.

فإن قلت: لم قالوا: ﴿إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، وكانوا يعبدونهم على الصحة؟

قلت: لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، والدليل عليه قول الملائكة: ﴿كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ يعنون: أن الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن، فهم المعبودون دوننا، أو كذبوهم في تسميتهم شركاء وآلهة؛ تنزيهاً لله من الشريك، وإن أريد بالشركاء: الشياطين، جاز أن يكون «كاذبين» في قولهم: (إنكم لكاذبون)، كما يقول الشيطان: إني كفرت بما أشركتموني من قبل، ﴿وَأَلْقَوْا۟﴾ يعني: الذين ظلموا، وإلقاء السلم: الاستسلام لأمر الله وحكمه بعد الإباء والاستكبار في الدنيا، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾، وبطل عنهم: ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾: من أن لله شركاء، وأنهم ينصرونهم ويشفعون لهم حين كذبوهم وتبرؤوا منهم.

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾: في أنفسهم، وحملوا غيرهم على الكفر: يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم، وقيل: في زيادة عذابهم حيات أمثال البخت وعقارب أمثال البغال تلسع إحداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها[2] أربعين خريفاً، وقيل: يخرجون من النار إلى

---

(١) قوله: «يمنون» في الصحاح: منوته ومنيته إذا ابتليته (ع).

(٢) قوله: «حمتها» حمة العقرب بالتخفيف، والهاء عوض عن اللام وهي سمها. وأما حمة الحر، =

الزمهرير فيبادرون من شدة برده إلى النار، ﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾: بكونهم مفسدين الناس بصدّهم عن سبيل الله.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يعني: نبيهم؛ لأنه كان يبعث أنبياء الأمم فيهم منهم، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾: يا محمد، ﴿شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ﴾: على أمتك، ﴿تِبْيَانًا﴾: بياناً بليغاً ونظير «تبيان»؛ «تلقاء» في كسر أوله، وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن.

فإن قلت: كيف كان القرآن تبياناً ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾؟

قلت: المعنى: أنه بين كل شيء من أمور الدين؛ حيث كان نصًّا على بعضها وإحالة على السنة؛ حيث أمر فيه باتباع رسول الله ﷺ وطاعته، وقيل: وما ينطق عن الهوى، وحثا على الإجماع في قوله: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقد رضي رسول الله ﷺ لأمته اتباع أصحابه، والاقتداء بآثارهم في قوله ﷺ: «أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ» (٨٣٣)، وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤوا طرق القياس والاجتهاد، فكانت السنة والإجماع والقياس والاجتهاد، مستندة إلى تبيان الكتاب، فمن ثمّ كان تبياناً لكل شيء.

---

٨٣٣ ـ أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٢٥) وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٢) وابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٦) من طريق سلام بن سليمان ثنا الحارث بن غصين عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر به.
قال ابن عبد البر: هذا إسناد لا تقوم به حجة؛ لأن الحارث بن غصين مجهول.
وقال ابن حزم: هذه رواية ساقطة، أبو سفيان ضعيف والحارث بن غصين هذا هو أبو وهب الثقفي وسلام بن سليمان يروي الأحاديث الموضوعة وهذا منها بلاشك.
وقال الحافظ: حديث غريب... وأخرجه ابن عبد البر من هذا الوجه وقال: هذا إسناد لا تقوم به حجة والحارث مجهول قلت ـ أي الحافظ ـ: الآفة فيه من الراوي عنه وإلا فالحارث ذكره ابن حِبان في الثقات وقال: روى عنه حسين الجعفي اهـ وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب من المسند» (ص ٢٥٠، ٢٥١) رقم (٧٨٣) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٧٨٥ ـ ٧٨٦) كلاهما من طريق أبي شهاب عن حمزة الجزري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «مثل أصحابي مثل النجوم يهتدى به فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم».
وذكره ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ٩٢٤) معلقاً عن أبي شهاب به وقال: وهذا إسناد لا يصح ولا يرويه عن نافع من يحتج به.
وقال ابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٣): فقد ظهر أن هذه الرواية لا تثبت أصلاً، بل لا شك أنها

= فبالتشديد، وهي معظمه، أفاده الصحاح (ع).

= مكذوبة لأن الله تعالى يقول في صفة نبيه ﷺ: (وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى) [النجم ٣، ٤]. . . أهـ.

ومن طريق عبد بن حميد أخرجه الحافظ ابن حجر في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٥) وقال: هذا حديث غريب وذكره ابن عبد البر في كتاب بيان العلم عن أبي شهاب بسنده وقال: هذا إسناد ضعيف الراوي له عن نافع لا يحتج به قلت: هو متفق على تركه بل قال ابن عديّ: إنه يضع. أهـ. وأخرجه ابن عديّ في «الكامل» (٣/ ١٠٥٧) والبيهقي في «المدخل» (١٥١) وابن عساكر (٦/ ٥ ـ تهذيب) من طريق نعيم بن حماد ثنا عبد الرحيم بن زيد العمي عن أبيه عن سعيد ابن المسيب عن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «سألت ربي عما يختلف فيه أصحابي من بعدي فقال: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم بعضها أضوأ من بعض فمن أخذ بشيء مما اختلفوا فيه فهو عندي على هدا».

قال الحافظ في «تخريج أحاديث المختصر» (١/ ١٤٧): هذا حديث غريب. . . وزيد العَمي بفتح المهملة وتشديد الميم وابنه أضعف منه، وقد سُئل البزار عن هذا الحديث فقال: لا يصح هذا الكلام عن النبي ﷺ وقد رواه عبد الرحيم مرة أخرى فقال عن أبيه عن ابن عمر. . . ا.هـ وأخرجه البيهقي في «المدخل» (١٥٢) والخطيب في «الكفاية» (ص ـ ٤٨) من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس بلفظ: «إن أصحابي بمنزلة النجوم في السماء فأيها أخذتم به اهتديتم» قال الحافظ في «تخريج المختصر» (١/ ١٤٦): وجويبر ضعيف جدا والضحاك لم يلق ابن عباس.

وأخرجه البيهقي في «المدخل» أيضاً (١٥٣) من طريق جويبر عن جواب بن عبد الله عن النبي ﷺ.

وهو مرسل أو معضل كما قال الحافظ.

وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» (١٣٤٦) من طريق جعفر بن عبد الواحد قال: قال لنا وهب ابن جرير بن حازم عن أبيه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «مثل أصحابي مثل النجوم من اقتدى بشيء منها اهتدى». وجعفر بن عبد الواحد كذاب كذبه غير واحد. فذكره برهان الدين الحلبي في «كتابه الكشف الحثيث عمن رمى بوضع الحديث (ص ١٢٧) رقم: (١٩٧) وقال: قال الدارقطني: يضع الحديث، وساق له ابن عديّ أحاديث وقال: كلها بواطيل وبعضها سرقه من قوم انتهى ونقل ابن الجوزي عن ابن عديّ أنه متهم بوضع الحديث ذكر ذلك في غير مكان من الموضوعات.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الدارقطني في المؤتلف من رواية سلام بن سليم عن الحرث بن غصن عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً. وسلام ضعيف. وأخرجه في غرائب مالك من طريق حميد بن زيد عن مالك عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر في أثناء حديث: وفيه: «فبأي قول أصحابي أخذتم اهتديتم، إنما مثل أصحابي مثل النجم من أخذ بنجم منها اهتدى»، وقال: لا يثبت عن مالك. ورواته دون مالك مجهولون. ورواه عبد بن حميد، والدارقطني في الفضائل من حديث حمزة الحريري عن نافع عن ابن عمر. وحمزة اتهموه بالوضع. ورواه القضاعي في مسند الشهاب من حديث أبي هريرة، وفيه جعفر بن عبد الواحد الهاشمي وقد كذبوه. ورواه ابن طاهر من رواية بشر ابن الحسين عن الزبير بن عديّ عن أنس. وبشر كان متهماً أيضاً. وأخرجه البيهقي في المدخل من =

العدل هو الواجب[1]؛ لأن الله ـ تعالى ـ عدل فيه على عباده[2]، فجعل ما فرضه عليهم واقعاً تحت طاقتهم، ﴿وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾: الندب؛ وإنما علق أمره بهما جميعاً؛ لأنّ الفرض لا بدّ من أن يقع فيه تفريط[3] فيجبره الندب؛ ولذلك قال رسول الله ﷺ لمن علمه الفرائض فقال: والله لا زدت فيها ولا نقصت ـ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» (٨٣٤)، فعقد الفلاح

= رواية جويبر عن الضحاك عن ابن عباس وجويبر متروك. ومن رواية جويبر أيضاً عن حواب بن عبد الله مرفوعاً وهو مرسل، قال البيهقي: هذا المتن مشهور وأسانيده كلها ضعيفة. وروى في المدخل أيضاً عن عمر ورفعه: «سألت ربي فيما يختلف فيه أصحابي من بعدي. فأوحي إلي: يا محمد إن أصحابك عندي بمنزلة النجوم في السماء، بعضها أضوأ من بعض، فمن أخذ بشيء مما هو عليه من اختلافهم فهو عندي على هدى»، وفي إسناده عبد الرحيم بن زيد السهمي، وهو متروك. انتهى.

٨٣٤ ـ أخرجه مالك في الموطأ (١/ ١٧٥/ ٩٤) ـ كتاب قصر الصلاة في السفر (٩) ـ باب جامع الترغيب في الصلاة، والبخاري في صحيحه (١/ ١٤٦) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب الزكاة من الإسلام (٣٤) ـ (٤٦)، ومسلم (١/ ١٩٨ ـ نووي) ـ كتاب الإيمان (١) ـ باب بيان الصلوات (٢) ـ (٨/ ١١)، وأبو داود (١/ ١٠٦) ـ كتاب الصلاة ـ حديث رقم (٣٩١)، والنَّسائي (١/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧ ـ ٢٢٨) ـ كتاب الصلاة ـ باب لم رضت في اليوم والليلة ـ (٤٥٨)، والدارمي (١/ ٣٧٠) ـ كتاب الصلاة ـ باب «في الوتر»، وابن خزيمة (٢/ ١٥٨) حديث رقم (٣٠٦)، وأحمد (١/ ١٦٢)، والبيهقي في =

---

(١) قال محمود: «العدل: الواجب. والإحسان: الندب» قال أحمد: وفي جمعهما تحت الأمر ما يدل لمن قال إن صيغة الأمر ـ أعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة أفعل ـ تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله أعلم.

(٢) عاد كلامه. قال: «وإنما كان الواجب عدلاً لأن الله تعالى عدل فيه على عباده... إلخ» قال أحمد: وهذه وليجة من الاعتزال. ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لأنه ظلم وجور، وذلك على الله محال. والحق والسنة أن كل قضاء الله عدل، وأن تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسألون﴾ بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة، على مقتضى توحيد أهل السنة، المعتقدين أن كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووجد، لا شريك له في ملكه، وكيف يكون شريكه عبداً مسخراً في قبضة ملكه، هذا هو التوحيد المحض. وإذا كان العبد مكلفاً بما هو من فعل الله، فهذا عين التكليف بما لا يطاق، ولكن ذلك عدل من الله تعالى، وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتي والتيسر في الأفعال الاختيارية التي هي محال التكاليف.

(٣) عاد كلامه. قال: «وإنما قرنهما في الأمر، لأن الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب... إلخ» قال أحمد: وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل: لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن، فيقال: المحكوم بفلاحه لأجله إنما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة، والله أعلم.

بشرط الصدق والسلامة من التفريط، وقال ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا» (٨٣٥). فما ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل، والفواحش: ما جاوز حدود الله،

= الكبرى (٢/ ٤٦٦)، من طرق عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه أنه سمع طلحة بن عبيد الله يقول...

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

متفق عليه من رواية طلحة بن عبيد الله أحد العشرة رضي الله عنهم.

٨٣٥ ـ ورد هذا الحديث عن جماعة من الصحابة هم:

ثوبان، جابر، عبد الله بن عمرو بن العاص، سلمة بن الأكوع، أبو أمامة.

ـ أما حديث ثوبان:

فأخرجه أحمد (٥/ ٢٨٦ ـ ٢٧٧)، وابن ماجه (١/ ١٠١) كتاب الطهارة وسننها ـ باب المحافظة على الوضوء (٢٧٧)، والحاكم في مستدركه (١/ ١٣٠)، والبيهقي في الكبرى (١/ ٨٢ و٤٥٧)، والطبراني في «الصغير» (٢/ ٨٨)، والدارمي في سننه (١/ ١٦٨)، والخطيب في تاريخه (١/ ٢٩٣)، والطيالسي في مسنده (١/ ٢٩ ـ منحة) (٤٦)، من طرق عن سالم بن أبي الجعد عن ثوبان مرفوعاً: «استقيموا ولن تحصوا...» وقال الحاكم: حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، ولست أعرف له علة يعلل بمثلها ووافقه الذهبي.

قلت: وفي ذلك نظر، فإن سالم بن أبي الجعد لم يسمع من ثوبان كما قرر ذلك عدد من أهل العلم فعند التِّرمذي في جامعه (٥/ ٢٧٨) (٣٠٩٤) قال: سألت محمد بن إسماعيل فقلت له: سالم ابن أبي الجعد سمع من ثوبان؟ فقال: لا... وقال محمد بن يحيى الذهلي: سمعت أحمد بن حنبل ـ وذكر أحاديث سالم بن أبي الجعد عن ثوبان، فقال: لم يسمع سالم من ثوبان ولم يلقه، وبينهما معدان بن أبي طلحة، وليست هذه الأحاديث بصحاح. تهذيب الكمال (١٠/ ١٣٢) ترجمة (٢١٤٢). وقد صرح بذلك البوصيري في «الزوائد» (١/ ١٢٢).

قلت: وللحديث طريق آخر عن ثوبان:

أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٢)، والدارمي (١/ ١٦٨) كتاب الوضوء: باب ما جاء في الطهور، وابن حِبان (١٦٤ ـ موارد)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٠١) رقم (١٤٤٤)، والبيهقي (١/ ٤٥٧) كتاب الطهارة: باب خير أعمالكم الصلاة، من طريق الوليد بن مسلم ثنا ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي كبشة السلولي عن ثوبان به. وقع عند الطبراني «أبو كبشة السولي» وهو تصحيف واسمه «أبو كبشة السلولي» انظر تهذيب الكمال (٣٤/ ٢١٥) ترجمة (٧٥٨٣) والوليد بن مسلم مدلس، وقد عنعن ـ ووجدت تصريحه بالتحديث عند ابن حِبان في صحيحه (٣/ ٣١١) (١٠٣٧) بلفظ «سددوا وقاربوا...» وابن ثوبان اسمه عبد الرحمن وهو حسن الحديث، والحديث أخرجه مالك في الموطأ (١/ ٣٤) ـ كتاب الطهارة ـ باب جامع الوضوء ـ بلاغاً وقال ابن عبد البر في التقصي: هذا يستند ويتصل من حديث ثوبان عن النبي ﷺ من طرق صحاح.

ـ وأما حديث جابر فأخرجه الحاكم في مستدركه (١/ ١٣٠) من طريق محمد بن خازم عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر مرفوعاً...

ـ وأما حديث عبد الله بن عمرو:

فأخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٢) ـ كتاب الطهارة ـ باب المحافظة على الوضوء ـ (٢٧٨)، والبيهقي في الشعب (٣/ ٥٠٤) (٢٧١٤)، وابن أبي شيبة في المصنف (١/ ١٤) (٣٦) مختصراً، كلهم من طريق =

﴿وَٱلْمُنكَرِ﴾: ما تنكره العقول[1]، ﴿وَٱلْبَغْىِ﴾: طلب التطاول بالظلم[2]، وحين أسقطت من الخطب[3] لعنة الملاعين على أمير المؤمنين عليّ ـ رضي الله عنه ـ أقيمت هذه الآية

= ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف، علته ليث بن أبي سليم.

وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٣٣) (٦٨٠) لإسحاق بن راهويه والبزار والطبراني في معجمه ـ ونقل عن البزار قوله: لا نعلمه يروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد.

ـ وحديث سلمة بن الأكوع:

أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٨) (٦٢٧٠)، والعقيلي في الضعفاء (٤/ ١٦٨) كلاهما من طريق محمد بن عمر الوادي عن موسى بن محمد بن إبراهيم أنه سمع إياس بن سلمة بن الأكوع يحدث عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ ... فذكره.

ومحمد بن عمر الواقدي متروك مع سعة علمه، وموسى بن محمد لا يتابع؛ لما قال العقيلي، وقال الهيثمي في المجمع (٢/ ٢٥٣): رواه الطبراني في الكبير عن محمد بن عبادة عن أبيه، ولم أجد من ترجمه. أهـ.

قلت: وليس في إسناده عند الطبراني محمد بن عبادة هذا.

ـ وحديث أبي أمامة: أخرجه ابن ماجه (١/ ١٠٢) ـ كتاب الطهارة وسننها ـ باب المحافظة على الوضوء ـ (٢٧٩) حدثنا محمد بن يحيى. ثنا ابن أبي مريم ثنا يحيى بن أيوب حدثني إسحاق بن أسيد عن أبي حفص الدمشقي عن أبي أمامة يرفع الحديث...

وقال البوصيري في الزوائد (٢/ ١٢٣) هذا إسناد ضعيف لضعف تابعيه، وقال البيهقي: أبو حفص هذا مجهول، تهذيب الكمال (٣٣/ ٢٥٣) (٧٣٢١)، وقال الذهبي في الميزان (٤/ الترجمة ١٠١١٠): لا يعرف أبداً. وقال الحافظ ابن حجر (٢/ ٤١٣) (٦٠): مجهول.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن ماجه، والحاكم، وأحمد، وابن أبي شيبة، والدارمي، وأبو يعلى من رواية سالم بن أبي الجعد عن ثوبان. وهو منقطع. ورواه ابن حِبان، والطبراني من وجه آخر عن ثوبان، ورواه الحاكم من رواية الأعمش عن أبي سفيان عن جابر، ورواه الطبراني. والعقيلي من حديث سلمة بن الأكوع وفيه الواقدي، وأخرجه ابن أبي شيبة وإسحاق والبزار والطبراني عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو. وليث ضعيف وأشار البزار إلى أنه تفرد به. انتهى.

---

(١) عاد كلامه. قال: «والفواحش ما جاوز حدود الله، والمنكر ما تنكره العقول» قال أحمد: وهذه أيضاً لفتة إلى الاعتزال، ولو قال: والمنكر ما أنكره الشرع لوافق الحق. ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقبيح بالعقل، والله الموفق.

(٢) عاد كلامه. قال: «والبغي طلب التطاول بالظلم» قال أحمد: وأصل موضوعه الطلب، ومن ابتغاء وجه الله، ابتغاء مرضاة الله، ولكن صار مطلق خاصا بطلب الظلم عرفاً.

(٣) عاد كلامه. قال: «وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه... إلخ» قال أحمد: ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة، لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها، وبين الحديث الوارد: في أن المناصب لعلي باغ، حيث يقول عليه =

مقامها، ولعمري، إنها كانت فاحشة ومنكراً وبغياً، ضاعف الله لمن سنها غضباً ونكالاً وخزياً، إجابة لدعوة نبيه: «وَعَادَ مَنْ عَادَاهُ» (٨٣٦)، وكانت سبب إسلام عثمان بن مظعون.

---

٨٣٦ ـ قلت هذا حديث صحيح متواتر، وقد رواه جمع كبير من الصحابة هم:

١) **زيد بن أرقم أخرجه النَّسائي** في الكبرى (٥/ ١٣٠ ـ ١٣١) ـ كتاب الخصائص ـ حديث رقم (٨٤٦٤ و٨٤٦٨)، وأحمد (١/ ١١٨)، والحاكم في مستدركه (٣/ ١٠٩)، وابن أبي عاصم في السنة (ص ٦٠٦/ ١٣٦٥)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٦٦) (٤٩٦٩)؛ كلهم من طريق سليمان الأعمش قال: حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: لما رجع رسول الله ﷺ عن حجة الوداع...

وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» وأقره الذهبي. قلت: وحبيب بن أبي ثابت وهو أبو يحيى الكوفي ثقة فقيه جليل، ولكنه كثير الإرسال والتدليس، كما قال الحافظ في التقريب (١/ ١٤٨) وقد عنعن هنا وتابع حبيب... فطر بن خليفة عن أبي الطفيل قال...

أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٠)، وابن حِبان في صحيحه (١٥/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦) (٦٩٣١)، وفي الموارد أيضاً (٧/ ١٣٨ ـ ١٣٩) (٢٢٠٥)، والبزار (٣/ ١٩١ ـ ١٩٢) (٢٥٤٤)، وابن أبي عاصم في السنة (ص ٦٠٦/ ١٣٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٥/ ١٦٥ ـ ١٦٦) (٤٩٦٨)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٠٧): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير فطر بن خليفة وهو ثقة»، وأخرجه التِّرمذي (٥/ ٦٣٣) ـ كتاب المناقب (٥٠) ـ باب مناقب علي ـ (٣٧١٣) من طريق شعبة عن سلمة بن كهيل قال: سمعت أبا الطفيل يحدث عن أبي سريحة أو زيد بن أرقم شك شعبة عن النبي ﷺ قال «من كنت مولاه...».

وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد (٤/ ٣٦٨ ـ ٣٧٢)، (٥/ ٣٧٠)، والطبراني (٤٩٨٣، ٤٩٨٥، ٤٩٨٦، ٥٠٥٨، ٥٠٥٩، ٥٠٩٢) من طرق عن زيد بن أرقم به.

٢) **البراء بن عازب:**

أخرجه النَّسائي (٥/ ١٣٢) ـ كتاب الخصائص ـ حديث رقم (٨٤٧٣) من طريق عمران بن أبان قال: حدثنا شريك: فقلت لأبي إسحاق: هل سمعت البراء بن عازب... قلت: وشريك بن عبد الله القاضي كثير الخطأ، وعمران بن أبان هو أبو موسى الطحان الواسطي: ضعيف الحديث كما في التقريب (٢/ ٨٢)، وأخرجه أحمد (٤/ ٢٨١)، وابن ماجه في سننه (١/ ٤٣) ـ المقدمة ـ فضل علي ابن أبي طالب (١١٦) كلاهما من طريق حماد بن سلمة أنا علي بن زيد عن عديّ بن ثابت عن البراء بن عازب قال «كنا مع رسول الله ﷺ في سفر...

وقال البوصيري في الزوائد (١/ ٦٩) هذا إسناد ضعيف.

٣) **سعد بن أبي وقاص:** أخرجه النَّسائي (٥/ ١٣١) ـ كتاب الخصائص ـ (٨٤٦٨) من طريق عبد الواحد بن أيمن عن أبيه أن سعداً قال: قال رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه، فعلي مولاه» وابن ماجه (١/ ٤٥) المقدمة (١٢١) من طريق عبد الرحمن بن سابط عن سعد... والحاكم في المستدرك (٣/ ١١٦) من طريق مسلم الملائي عن خيثمة بن عبد الرحمن قال: سمعت سعد بن =

= الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي: تقتلك الفئة الباغية، والله أعلم، فقتل مع علي يوم صفين.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ

= مالك... وقال الذهبي: سكت الحاكم عن تصحيحه، ومسلم متروك.

قلت: وقال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٣٥): ـ رواه النَّسائي ـ من طرق ثلاثة دائرة على المهاجر بن مسمار، عن عائشة بنت سعد عن سعد... ولم أجده في النَّسائي من هذا الطريق، وإنما وجدته فقط من الطريق الذي ذكرناه آنفا والله أعلم.

٤) حديث بريدة:

أخرجه النَّسائي (٥/ ١٣٠) ـ كتاب الخصائص (٨٤٦٥ و٨٤٦٦ و٨٤٦٧)، وأحمد (٥/ ٣٥٠) من طريق أبي معاوية حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «من كنت مولاه...»، والبزار (٣/ ١٨٨) (٢٥٣٥) من طريق محمد بن المثنى حدثنا أبو معاوية به، وأحمد (٥/ ٣٥٨، ٣٦١) من طريق وكيع عن الأعمش به، وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٧) والحاكم (٣/ ١١٠) من طريق أبي نعيم الفضل بن دكين، وأخرجه عبد الرزاق (٢٢٥١١) برقم (٢٠٣٨٨) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه قال: لما بعث النبي ﷺ عليا إلى اليمن، خرج بريدة الأسلمي معه... ومن طريق عبد الرزاق أخرجه الطبراني في الأوسط (١/ ٢٢٩) (٣٤٨)، وأخرجه أيضاً في «الصغير» (١/ ٧١) من طريق... عبد الرزاق أنبأنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاووس عن بريدة بن الحصيب عن النبي ﷺ...

وأبو نعيم في الحلية (٤/ ٢٣) من طريق سفيان بن عيينة به وقال «غريب من حديث طاووس لم نكتبه إلا من هذا الوجه».

٥) حديث أبي هريرة:

أخرجه أبو يعلى الموصلي في مسنده (١١/ ٣٠٧) (٦٤٢٣)، والطبراني في الأوسط (٢/ ٦٨ ـ ٦٧) (١١١٥)، وقال: لم يرو هذا الحديث عن إدريس إلا عكرمة، وقال الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٩): رواه أبو يعلى والبزار بنحوه والطبراني في الأوسط وفي أحد إسنادي البزار رجل غير مسمى، وبقية رجاله ثقات في الآخر، وفي إسناد أبي يعلى داود بن يزيد وهو ضعيف» أهـ.

٦) حديث أبي أيوب:

أخرجه أحمد (٥/ ٤١٩) والطبراني في الكبير (٤/ ١٧٣) (٤٠٥٢، ٤٠٥٣، ٤٠٥٤) وقال الهيثمي في المجمع (١٠٧١٩). ورجال أحمد ثقات.

٧) جرير بن عبد الله أخرجه الطبري في «الكبير» (٢/ ٣٥٧) (٢٥٠٥)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٠٩): وفيه بشر بن حرب وهو لين ومن لم أعرفه أيضاً، وللحديث طرق أخرى كثيرة، جمع طائفة منها الهيثمي في المجمع (٩/ ١٠٦ ـ ١١٢)، والحديث ذكره السيوطي في الأزهار المتناثرة عن ثمانية عشر نفساً، وأورده الكتاني في نظم المتناثر كتاب المناقب، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة (ص ٢٠٥) وقال: رواه من الصحابة واحد وعشرون نفساً وذكرهم، وقال الحافظ في الفتح (٧/ ٤٣٨) ـ كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب مناقب علي ـ وأما حديث «من كنت مولاه فعلي مولاه» فقد أخرجه التِّرمذي والنَّسائي، وهو كثير الطرق جدا، وقد استوعبها ابن عقدة في كتاب مفرد، وكثير من أسانيدها صحاح وحسان أ.هـ.

وانظر الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٣٤ و٢٤٤) فقد استوعب كثيراً من طرقه.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

هذا طرف من حديث غدير خم الوارد في فضل علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ وقد أخرجه =

عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾

عهد الله: هي البيعة لرسول الله ﷺ على الإسلام، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾/ ١٩٥ب [الفتح: ١٠]، ﴿وَلَا تَنقُضُوا﴾: أيمان البيعة، ﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ أي: بعد توثيقها باسم الله، وأكد ووكد: لغتان فصيحتان، والأصل: الواو، والهمزة: بدل، ﴿كَفِيلًا﴾: شاهداً ورقيباً؛ لأن الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن عليه، ﴿وَلَا تَكُونُوا﴾: في نقض الأيمان كالمرأة التي أنحت على غزلها بعد أن أحكمته وأبرمته فجعلته، ﴿أَنكَٰثًا﴾: جمع نكث، وهو ما ينكث فتله، قيل: هي ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء، اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع وفلكة عظيمة على قدرها، فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن ما غزلن، ﴿تَتَّخِذُونَ﴾: حال

= النَّسائي، وابن حِبان، والحاكم من رواية الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت عن الطفيل عن زيد بن أرقم، وفيه هذا اللفظ، ورواه النَّسائي أيضاً من رواية شريك: قلت لأبي إسحاق: أسمعت البراء يحدث عن رسول الله ﷺ؟ قال يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» قال: نعم. وأخرجه ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والبزار من وجه آخر، عن شريك، عن إدريس بن يزيد الأشددي، عن أبيه، عن أبي هريرة، وتابعه عكرمة بن إبراهيم عن إدريس عند الطبراني، ورواه الطبري أيضاً من طريق سليمان بن قرم عن أبي إسحاق عن حبشي بن جنادة. وأخرجه النَّسائي أيضاً من طريق مهاجر بن مسمار عن عائشة بنت سعد عن أبيها أن النبي ﷺ: «أخذ بيد علي يوم غدير خم فقال: من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» وأخرجه الحاكم من رواية مسلم الملائي عن خثيمة بن عبد الرحمن عن سعد بن مالك نحوه. وفي الباب عن ابن عمر أخرجه الطبراني من طريق عطية عنه، والبزار من طريق جميل بن عمارة، عن سالم عن أبيه، وعن أنس وغيره أخرجه الطبراني في الصغير من رواية طلحة بن مصرف عن عميرة بن سعد قال: شهدت عليا على المنبر ناشد الصحابة: من سمعه يقول يوم غدير خم ما قال؟ فقام اثنا عشرة، منهم أبو هريرة، وأبو سعيد، وأنس، وعن جرير أخرجه الطبراني مطولاً: وعن طلحة أخرجه الحاكم من رواية رفاعة بن إياس العمي عن أبيه عن جده قال: «كنا مع علي يوم الجمل فبعث إلى طلحة فقال له: أنشدنك الله، ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول ـ فذكره. فقال: نعم. قال: فلم تقاتلني؟ قال: لم أذكره وانصرف طلحة» وعن جابر أخرجه أبو يعلى، والطبراني في مسند الشاميين من طريق ابن لهيعة عن بكر بن سوادة عن قبيصة بن ذؤيب وأبي سلمة عن جابر، وعن حذيفة بن أسيد أخرجه الطبراني وجمع ابن عقدة طرف حديث غدير خم، فأخرجه من رواية جماعة آخرين من الصحابة مع هؤلاء: منهم عمار بن ياسر، والعباس وابنه، والحسن بن علي والحسين بن علي، وعبد الله بن جعفر، وسلمان الفارسي، وسمرة بن جندب، وسلمة بن الأكوع، وزيد بن حارثة، وأبو رافع، وزيد بن ثابت الأنصاري، ويعلى بن مرة وآخرون. انتهى.

و﴿دَخَلًۢا﴾: أحد مفعولي اتخذ، يعني: ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلاً ﴿بَيْنَكُمْ﴾ أي: مفسدة ودغلا[1]، ﴿أَن تَكُونَ أُمَّةٌ﴾: بسبب أن تكون أمة، يعني: جماعة قريش، ﴿هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ﴾ هي: أزيد عدداً وأوفر مالاً، من أمة من جماعة المؤمنين، ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ﴾: الضمير لقوله: أن تكون أمة؛ لأنه في معنى: المصدر، أي: إنما يختبركم بكونهم أربى؛ لينظر أتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وما عقدتم على أنفسكم ووكدتم من أيمان البيعة لرسول الله ﷺ أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوّتهم، وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم؟ ﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾: إنذار وتحذير من مخالفة ملة الإسلام.

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾: حنيفة مسلمة على طريق الإلجاء والاضطرار[2]، وهو قادر على ذلك، ﴿وَلَٰكِن﴾: الحكمة اقتضت أن يضلّ، ﴿مَن يَشَآءُ﴾: وهو أن يخذل من علم أنه يختار[3] الكفر ويصمم عليه، ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾: وهو أن يلطف بمن علم أنه يختار الإيمان، يعني: أنه بنى الأمر على الاختيار وعلى ما يستحق به اللطف والخذلان، والثواب والعقاب، ولم يبنه على الإجبار الذي لا يستحق به شيء من ذلك؛ وحققه بقوله: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: ولو كان هو المضطرّ إلى الضلال[4] والاهتداء، لما أثبت لهم عملاً يسألون عنه[5].

---

(١) قوله: «ودغلاً» في الصحاح «الدغل» بالتحريك: الفساد، مثل الدخل (ع).

(٢) قال محمود: «معناه على طريقة الإلجاء والقسر» قال أحمد: وهذا تفسير اعتزالي قد قدم أمثاله في أخوات هذه الآية، وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو، الدالة على أن مشيئة الله تعالى لإيمان الخلق كلهم ما وقعت، وأنه إنما شاء منهم الافتراق والاختلاف، فإيمان وكفر، وتصدق وتكذيب كما وقع منهم، ولو شاء شمولهم بالإيمان لوقع، فيصادم الزمخشري هذا النص ويقول: قد شاء جعلهم أمة واحدة حنيفة مسلمة، ولكن لم يقع مراده. فإذا قيل له: فعلام تحمل المشيئة في الآية؟ قال: على مشيئة إيمانهم قسراً لا اختياراً، وهذه المشيئة لم تقع اتفاقاً.

(٣) قوله: «وهو أن يخذل من علم أنه يختار الكفر» هذا عند المعتزلة. أما عند أهل السنة، فالإضلال: خلق الضلال في القلب؛ لأنه يجوز على الله خلق الشر عندهم دون المعتزلة، كما بين في محله (ع).

(٤) قوله: «ولو كان هو المضطر إلى الضلال» على معنى اسم الفاعل، أي الذي يضطر العباد ويلجئهم. وقوله: «لما أثبت... إلخ» مسلم، ولكنه لم يضطرهم ولم يلجئهم ولو كان هو الخالق لأعمالهم في الحقيقة، لما لهم فيها من الكسب كما قرره أهل السنة في علم التوحيد، فلينظر (ع).

(٥) عاد كلامه. قال محمود: «ومما يدل على أن الله لم يبن الأمر على الإجبار وإنما بناه على الاختيار قوله تعالى ﴿ولتسئلن عما كنتم تعملون﴾ ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما أثبت لهم ما =

﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٩٤﴾

ثم كرر النهي عن اتخاذ الأيمان دخلاً بينهم؛ تأكيداً عليهم، وإظهاراً لعظم ما يركب منه، ﴿فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا﴾: فتزلّ أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها، ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ﴾: في الدنيا بصدودكم، ﴿عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: وخروجكم من الدين، أو بصدّكم غيركم؛ لأنهم لو نقضوا أيمان البيعة وارتدّوا، لاتخذوا نقضها سنة لغيرهم يستنون بها، ﴿وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾: في الآخرة.

﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩٥﴾

كان قوماً ممن أسلم بمكة زين لهم الشيطان ـ لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين، وإيذائهم لهم، ولما كانوا يعدونهم إن رجعوا من المواعيد ـ أن ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله ﷺ فثبتهم الله، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ﴾: ولا تستبدلوا، ﴿بِعَهۡدِ ٱللَّهِ﴾: وبيعة رسول الله ﷺ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ﴾: عرضاً من الدنيا يسيراً، وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم إن رجعوا، ﴿إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من إظهاركم وتغنيمكم، ومن ثواب الآخرة: ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾.

﴿مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٦﴾

﴿مَا عِندَكُمۡ﴾: من أعراض الدنيا، ﴿يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾: من خزائن رحمته، ﴿بَاقٖۗ﴾: لا ينفد، وقرئ: ﴿وَلَنَجۡزِيَنَّ﴾: بالنون والياء، ﴿ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾: على أذى المشركين ومشاقّ الإسلام.

فإن قلت: لم وحدت القدم ونكرت[1]؟

= يسألون عنه» قال أحمد: أما أهل السنة الذين يسميهم المصنف مجبرة فهم من الإجبار بمعزل، لأنهم يثبتون للعبد قدرة واختياراً وأفعالاً، وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده، فيجعلون قدرته تعالى هي الموجدة والمؤثرة، وقدرة العبد مقارنة فحسب، تمييزاً بين الاختياري والقسري وتقوم بها حجة الله على عبده، والله الموفق.

(١) قال محمود: «إن قلت لم وحدت القدم ونكرت... إلخ» قال أحمد: ومن جنس إفادة التنكير ههنا للتقليل: إفادته له في قوله تعالى ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٞ وَٰعِيَةٞ﴾ وفي قوله عز وجل ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ فنكر الأذن والنفس تقليلاً للواعي من الناس لما يقضي بسداده، وللناظر من الخلق في أمر معاده، والله الموفق.

قلت: لاستعظام أن تزلّ واحدة عن طريق الحق بعد أن ثبتت عليه، فكيف بأقدام كثيرة؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾

فإن قلت: ﴿مَنْ﴾ متناول في نفسه للذكر والأنثى، فما معنى تبيينه بهما؟

قلت: هو مبهم صالح على الإطلاق للنوعين، إلا أنه إذا ذكر كان الظاهر تناوله للمذكور، فقيل: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾: على التبيين؛ ليعمّ الموعد النوعين جميعاً، ﴿حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ يعني: في الدنيا وهو الظاهر؛ لقوله: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾: وعده الله ثواب الدنيا والآخرة؛ كقوله: ﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٤٨]، وذلك أنّ المؤمن مع العمل الصالح موسراً كان أو معسراً يعيش عيشاً طيباً إن كان موسراً، فلا مقال فيه، وإن كان معسراً، فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله، وأمّا الفاجر فأمره على العكس: إن كان معسراً فلا إشكال في أمره، وإن كان موسراً فالحرص لا يدعه أن يتهنأ بعيشه، وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: الحياة الطيبة: الرزق الحلال، وعن الحسن: القناعة، وعن قتادة: يعني: في الجنة، وقيل: هي حلاوة الطاعة والتوفيق في قلبه.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه، وصل به قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾: إيذاناً بأن الاستعاذة من جملة الأعمال الصالحة التي يجزل الله عليها الثواب، والمعنى: فإذا أردت قراءة القرآن فاستعذ؛ كقوله: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، وكقولك: إذا أكلت فسمّ الله.

فإن قلت: لم عبر عن إرادة الفعل بلفظ الفعل؟

قلت: لأن الفعل يوجد عند القصد والإرادة بغير فاصل وعلى حسبه، فكان منه بسبب قويّ وملابسة ظاهرة، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ: قرأت على رسول الله ﷺ فقلت: أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، فقال لي: «يَا ٱبْنَ أُمّ عَبْدٍ، قُلْ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هٰكَذَا أَقْرَأَنِيه جِبْرِيلُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ عَنِ القَلَمِ عَنِ اللَّوْحِ

المَحْفُوظِ» (٨٣٧)، ﴿لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ﴾ أي: تسلط وولاية على أولياء الله، يعني: انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه/ ١٩٦أ فيما يريد منهم من اتباع خطواته، ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ﴾: على من يتولاه ويطيعه، ﴿بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾: الضمير يرجع إلى ربهم، ويجوز أن يرجع إلى الشيطان، على معنى: بسببه وغروره ووسوسته.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾

تبديل الآية مكان الآية: هو النسخ، والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع؛ لأنها مصالح وما كان مصلحة أمس يجوز أن يكون مفسدة اليوم، وخلافه مصلحة، والله ـ تعالى ـ عالم بالمصالح والمفاسد، فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته، وهذا معنى قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، وجدوا مدخلاً للطعن فطعنوا؛ وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ، وكانوا يقولون: إن محمداً يسخر من أصحابه: يأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غداً، فيأتيهم بما هو أهون، ولقد افتروا، فقد كان ينسخ الأشق بالأهون، والأهون بالأشق، والأهون بالأهون، والأشق بالأشق؛ لأنّ الغرض المصلحة، لا الهوان والمشقة.

فإن قلت: هل في ذكر تبديل الآية بالآية دليل على أن القرآن إنما ينسخ بمثله، ولا يصح بغيره من السنة والإجماع والقياس؟

قلت: فيه أن قرآناً ينسخ بمثله، وليس فيه نفي نسخه بغيره، على أن السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن في إيجاب العلم، فنسخه بها كنسخه بمثله، وأمّا الإجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها، فلا يصح نسخ القرآن بها.

﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾

في (ينزل) و﴿نَزَّلَهُۥ﴾: وما فيهما من التنزيل شيئاً فشيئاً على حسب الحوادث والمصالح: إشارة إلى أن التبديل من باب المصالح كالتنزيل، وأن ترك النسخ بمنزلة إنزاله

---

٨٣٧ ـ أخرجه الواحدي في تفسير الوسيط (٨٤١٣) من طريق الثعلبي مسلسلاً، وذكره ابن عراق في تنزيه الشريعة (١/٣٠٩) (٨٥) وعزاه لابن النجار من طريق هناد النسفي الشافعي مسلسلاً.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
رواه الثعلبي مسلسلاً عن شيخة أبي الفضل محمد بن جعفر الخزاعي إلى ابن مسعود، ورواه الواحدي من الوسيط عن الثعلبي... انتهى.

دفعة واحدة في خروجه عن الحكمة، و﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾: جبريل ـ عليه السلام ـ أضيف إلى القدس وهو الطهر، كما يقال: حاتم الجود وزيد الخير، والمراد: الروح المقدّس، وحاتم الجواد، وزيد الخير، والمقدّس: المطهر من المآثم، وقرئ: بضم الدال وسكونها، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾: في موضع الحال، أي: نزله ملتبساً بالحكمة، يعني: أن النسخ من جملة الحق، ﴿لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾: ليبلوهم بالنسخ، حتى إذا قالوا فيه: هو الحق من ربنا والحكمة، حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمأنينة القلوب، على أن الله حكيم فلا يفعل إلا ما هو حكمة وصواب، ﴿وَهُدًى وَبُشْرَىٰ﴾: مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت، والتقدير: تثبيتاً لهم وإرشاداً وبشارة، وفيه تعريض بحصول أضداد هذه الخصال لغيرهم، وقرئ: «ليثبت»: بالتخفيف.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾

أرادوا بالبشر: غلاماً كان لحويطب بن عبد العزى قد أسلم وحسن إسلامه، اسمه: عائش أو يعيش، وكان صاحب كتب، وقيل: هو جبر: غلام رومي كان لعامر بن الحضرمي، وقيل: عبدان: جبر ويسار، كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والإنجيل، فكان رسول الله ﷺ إذا مرّ وقف عليهما يسمع ما يقرآن، فقالوا: يعلمانه فقيل لأحدهما، فقال: بل هو يعلمني، وقيل: هو سلمان الفارسي، واللسان: اللغة، يقال: ألحد القبر ولحده، وهو ملحد وملحود، إذا أمال حفره عن الاستقامة، فحفر في شق منه ثم استعير لكل إمالة عن استقامة، فقالوا: ألحد فلان في قوله، وألحد في دينه، ومنه الملحد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها، لم يمله عن دين إلى دين، والمعنى: لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان، ﴿أَعْجَمِىٌّ﴾: غير بين، ﴿وَهَٰذَا﴾: القرآن، ﴿لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾: ذو بيان وفصاحة ردّاً لقولهم وإبطالاً لطعنهم، وقرئ: (يلحدون): بفتح الياء والحاء، وفي قراءة الحسن: اللسان الذي يلحدون إليه بتعريف اللسان.

فإن قلت: الجملة التي هي قوله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ﴾ ما محلها؟

قلت: لا محل لها؛ لأنها مستأنفة جواب لقولهم؛ ومثله قوله: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤] بعد قوله: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى

﴿ٱلْكَٰذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: يعلم الله منهم أنهم لا يؤمنون، ﴿لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ﴾ لا يلطف بهم؛ لأنهم من أهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة، لا من أهل اللطف والثواب، ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ﴾: ردّ لقولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾، يعني: إنما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن؛ لأنه لا يترقب عقاباً عليه، ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ﴾: إشارة إلى قريش، ﴿هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ أي: هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون، أو إلى الذين لا يؤمنون، أي: أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب؛ لأنّ تكذيب آيات الله أعظم الكذب، أو أولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء، لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين، أو أولئك هم الكاذبون في قولهم: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ﴾ [النحل: ١٠١].

﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

﴿مَن كَفَرَ﴾: بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله، على أن يجعل: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾: اعتراضاً بين البدل والمبدل منه، والمعنى: إنما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه، واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء، ثم قال: ﴿وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا﴾ أي: طاب به نفساً واعتقده، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ﴾: ويجوز أن يكون بدلاً من المبتدأ الذي هو: (أولئك) على: ومن كفر بالله من بعد إيمانه هم الكاذبون، أو من الخبر الذي هو الكاذبون، على: وأولئك هم من كفر بالله من بعد إيمانه، ويجوز أن ينتصب على الذمّ، وقد جوّزوا أن يكون: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ﴾: شرطاً مبتدأ، ويحذف جوابه؛ لأنّ جواب: (من شرح): دال عليه، كأنه قيل: من كفر بالله فعليهم غضب، إلا من أكره، ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب، روي أنّ ناساً من أهل مكة فتنوا فارتدوا عن الإسلام بعد دخولهم فيه/ ١٩٦ب، وكان فيهم من أكره، فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم: عمار، وأبواه ـ ياسر وسمية ـ وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم: عذبوا، فأمّا سمية: فقد ربطت بين بعيرين ووجيء في قبلها بحربة، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل ياسر وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار: فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرهاً، فقيل: يا رسول الله،

إن عماراً كفر، فقال: «كَلاَّ، إِنَّ عَمَّاراً مُلِئَ إِيمَاناً مِنْ قَرْنِهِ إِلَىٰ قَدَمِهِ، وَٱخْتَلَطَ الإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ» ح فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي، فجعل النبي ﷺ يمسح عينيه، وقال: «مَالَكَ! إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ»، ومنهم جبر مولى الحضرمي، أكرهه سيده، فكفر، ثم أسلم مولاه وأسلم، وحسن إسلامهما، وهاجرا (٨٣٨).

فإن قلت: أي الأمرين أفضل، أفعل عمار أم فعل أبويه؟

قلت: بل فعل أبويه؛ لأنّ في ترك التقية والصبر على القتل إعزازاً للإسلام وقد روي أنّ مسيلمة أخذ رجلين فقال لأحدهما: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنت ـ أيضاً ـ فخلاه، وقال للآخر: ما تقول في محمد؟ قال: رسول الله، قال: فما تقول فيّ؟ قال: أنا أصمّ، فأعاد عليه ثلاثاً، فأعاد جوابه، فقتله، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «أَمَّا الأَوَّلُ: فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ الله، وَأَمَّا الثَّانِي: فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ فَهَنِيئًا لَهُ» (٨٣٩). ﴿ذَٰلِكَ﴾: إشارة إلى الوعيد، وأنّ الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب

---

٨٣٨ ـ ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٨٦) من حديث ابن عباس، وعزاه الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٤٦) للواحدي في أسباب النزول والثعلبي في تفسيره، وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٧) ـ كتاب التفسير ـ سورة النحل، وقال: صحيح على شرط الشيخين. ووافقه الذهبي والبيهقي في السنن (٨/ ٢٠٨ ـ ٢٠٩) ـ كتاب المرتد ـ باب المكره على الردة، وأخرجه في «الدلائل» أيضاً (٤/ ٣٠١ ـ ٤٠٤)؛ وابن سعد في الطبقات (٣/ ١/ ١٧٨)، وقوله ﷺ: «إن عماراً» إلى قوله «قدمة» أخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٣٩) في ترجمة «عمار بن ياسر».

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

هكذا أورده الثعلبي عن ابن عباس بغير سند، وروى الحاكم من حديث زر عن ابن مسعود قال: «أول من أظهر إسلامه سبعة: فذكرهم إلى أن قال: فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد ـ الحديث» ورواه ابن سعد من طريق منصور عن مجاهد قال: «أول من أظهر فذكر مثله ـ وزاد فجاء أبو جهل يشتم سمية ويرفث ثم طعنها فقتلها. فهي أول شهيد في الإسلام. قلت: قوله ﷺ: «إن عماراً مليء إيماناً» رواه ... وقوله «اختلط الإيمان بلحمه ودمه» رواه ... وقوله «إن عادوا لك فعدلهم» رواه .... انتهى.

٨٣٩ ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٦/ ٤٧٣) (٣٣٠٣٧) حدثنا ابن علية عن يونس عن الحسن أن عيوناً لمسلمة أخذوا رجلين... وعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٢) عن معمر قال: سمعت أن لمسيلمة... فذكره قلت: وهذا إسناد معضل.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه ابن أبي شيبة قال: حدثنا إسماعيل بن علية، عن يونس، عن الحسن «أن عيوناً لمسيلمة أخذوا رجلين من المسلمين فأتوه بهما، فقال لأحدهما: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ فأهوى إلى أذنيه وقال: إني أصم، فأعاد عليه، فقال مثله، فأمر بقتله. وقال للآخر: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال: نعم. قال: أتشهد أني رسول الله؟ قال: نعم، فأرسله. فأتى النبي ﷺ فقال: هلكت. فقال: وما شأنك؟ فأخبره بقصته وقصة صاحبه فقال: أما صاحبك فمضى على إيمانه. وأما أنت فأخذت بالرخصة. وأخرجه عبد الرزاق في التفسير عن =

استحبابهم الدنيا على الآخرة، واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم، ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ﴾: الكاملون في الغفلة، الذين لا أحد أغفل منهم؛ لأنّ الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾﴾

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾: دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال أولئك، وهم عمار وأصحابه، ومعنى: إنّ ربك لهم، أنه لهم لا عليهم، بمعنى: أنه وليهم وناصرهم لا عدوّهم وخاذلهم، كما يكون الملك للرجل لا عليه، فيكون محميًا منفوعاً غير مضرور، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟﴾: بالعذاب والإكراه على الكفر، وقرئ: (فتنوا): على البناء للفاعل، أي: بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي وأشباهه، ﴿مِنۢ بَعْدِهَا﴾: من بعد هذه الأفعال وهي الهجرة والجهاد والصبر، ﴿يَوْمَ تَأْتِى﴾: منصوب برحيم. أو بإضمار اذكر.

فإن قلت: ما معنى النفس المضافة إلى النفس؟

قلت: يقال لعين الشيء وذاته نفسه، وفي نقيضه غيره، والنفس الجملة كما هي، فالنفس الأولى: هي الجملة، والثانية: عينها وذاتها، فكأنها قيل: يوم يأتي كل إنسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره، كل يقول: نفسي نفسي، ومعنى المجادلة عنها: الاعتذار عنها؛ كقوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨]، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]. ونحو ذلك.

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾﴾

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً﴾ أي: جعل القرية التي هذه حالها مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة، فكفروا وتولوا؛ فأنزل الله بهم نقمته، فيجوز أن تراد قرية مقدرة على

= معمر قال: سمعت أن مسيلمة أخذ رجلين فذكره بنحوه. وذكر الواحدي في المغازي أن اسم المقتول: حبيب بن زيد عم عباد بن تميم، واسم الآخر: عبد الله بن وهب الأسلمي. قال: وكان في الساقة. وذكروا أنه قطعه عضواً عضواً وأحرقه بالنار.

هذه الصفة، وأن تكون في قرى الأوّلين قرية كانت هذه حالها، فضربها الله مثلاً لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها، ﴿مُّطْمَئِنَّةً﴾: لا يزعجها خوف؛ لأن الطمأنينة مع الأمن، والانزعاج والقلق مع الخوف، ﴿رَغَدًا﴾: واسعاً، والأنعم: جمع نعمة، على ترك الاعتداد بالتاء، كدرع وأدرع، أو جمع نعم، كبؤس وأبؤس، وفي الحديث، نادى منادي النبي ﷺ بالموسم بمنى: «إِنَّهَا أَيَّامُ طَعْمٍ وَنِعَمٍ فَلاَ تَصُومُوا» (٨٤٠).

فإن قلت: الإذاقة واللباس استعارتان، فما وجه صحتهما؟ والإذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار، فما وجه صحة إيقاعها عليه[1]؟

---

٨٤٠ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/٢٤٨) غريب جدا، وقال الحافظ ابن حجر: لم أجده هكذا.

---

(١) قال محمود: «إن قلت الإذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة إيقاع الإذاقة على اللباس. . . إلخ»؟ قال أحمد: وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان أن يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر، وقد نظر إليهما جميعاً في قوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾﴾ فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى، وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها، ثم جاء ملاحظاً للشراء المستعار قوله ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء، ثم جاء ملاحظاً للحقيقة الأصلية المستعار لها قوله ﴿وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ فإنه مجرد عن الاستعارة، إذ لو قيل أولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين، لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الإستعارة والنظر إلى المستعار في بابه، كترشيح المجاز في بابه. ومنه [من الوافر]:

إذا الشيطان قصع في قفاها ... تنفقناه بالحبل التؤام

فجعل الشيطان في قفاها قاصعاً ثم نافقاً، ثم جعله مستخرجاً بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره، والشوط في هذا الفن البديع فطين، والله الموفق. انتهى.

من قوله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾.

استعارة في «الإذاقة واللباس» وقد بين المفسر العلامة هذه الاستعارة بما لها وما عليها.

ولكن ما معنى الترشيح والتجريد؟

الترشيح: ذكر ملائم المستعار منه أي المعنى الحقيقي وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ﴾ [البقرة: ١٦].

فقوله سبحانه: «اشتروا» استعارة للاستبدال ثم مضى على هذا المعنى فذكر «ربحت» و«تجارتهم» وبهذا يكون قد نظر إلى المستعار منه.

وفي الترشيح تقوية لأنه تصور للمستعار له كأنه داخل في دائرة المستعار منه بهذا الترشيح.

وبهذه التقوية تكون المبالغة، ولهذا كان مبناه التناسي للتشبيه، وعلينا أن ننظر في الآية السابقة، وكذلك قول أبي تمام [من المتقارب]:

ويصعد حتى يظن الجهول ... بأن له حاجة في السماء.

التجريد: عكس الترشيح أي الإتيان بما يلائم المستعار له ومنه الآية التي في صدر البحث.

يقول القزويني ـ رحمه الله ـ:

قال ـ أذاقها ـ ولم يقل ـ كساها ـ فإن المراد بالإذاقة أصابتهم بما استعير له اللباس، كأنه قال: =

قلت: أما الإذاقة: فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة؛ لشيوعها في البلايا والشدائد وما يمسّ الناس منها، فيقولون: ذاق فلان البؤس والضر، وأذاقه العذاب: شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المرّ والبشع[1]، وأما اللباس: فقد شبه به؛ لاشتماله على اللابس: ما غشي الإنسان والتبس به من بعض الحوادث، وأما إيقاع الإذاقة على لباس الجوع والخوف، فلأنه لما وقع عبارة: «عما يغشى منهما» ويلابس، فكأنه قيل: فأذاقه ما غشيهم من الجوع والخوف، ولهم في نحو هذا طريقان لا بد من الإحاطة بهما، فإن الاستنكار لا يقع إلا لمن فقدهما:

أحدهما: أن ينظروا فيه المستعار له، كما نظر إليه ههنا؛ ونحوه قول كُثَيِّر [من الكامل]:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكاً ... غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ المَالِ[2]

= «فأصابها الله بلباس الجوع والخوف»، ثم ذكر كلام الزمخشري في الآية ثم أورد اعتراضاً فقال: «فإن قيل: الترشيخ أبلغ من التجريد فهلا قيل: فكساها الله لباس الجوع والخوف؟ قلنا: لأن الإدراك بالذوق يستلزم الإدراك باللمس من غير عكس، فكان في الإذاقة إشعار بشدة الإصابة بخلاف الكسوة.

فإن قيل: «لِم لَم يقل ـ فأذاقها الله طعم الجوع والخوف؟ قلنا لأن الطعم وإن لاءم الإذاقة فهو مفوت لما يفيده لفظ اللباس من بيان أن الجوع والخوف عمّ أثرهما جميع البدن عموم الملابس» فإذا لم يوجد الملائم أصلاً أو وجد ملائم للمستعار منه وللمستعار له فالمجاز «الاستعارة» تكون مطلقة، وقد جعلها البلاغيون قسماً ثالثاً لهذا التقسيم باعتبار الملائم الخارجي ومثالها: «عندي أسد».

هذا، وكلام الزمخشري في هذا الملائم يشعر بأن هذا الفن من أجمل الفنون وأبلغها، وإنه يبلغ من الحسن والرونق ـ إذا وقع موقعه ـ ما لا تراه لسواه، وينظر كلامه في آية البقرة المرشحة وسواء كان الترشيح للمجاز المفرد أو المركب

والترشيح عند الزمخشري وتبعه أبو السعود من لف نحوهم لا يكون استعارة، وهو كلام صحيح لأن مبنى هذا على التقوية التي لا تكون إلا بالحقيقة كما صدرت نحوه أول الكلام.

والعلامة المفسر قد بين هذه المعاني كلها في عرضه للآيات التي يرد منها الاستعارة بهذا المفهوم الذي عرضته، والله الموفق للصواب.

«ينظر الإيضاح ٥/ ٩٩ وما بعدها، والبلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٥٠٢ وما بعدها والمفتاح للسكاكي ١٨٢، والمطول للسعد ٣٧٧ وما بعدها. وفتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٠٠، وروح المعاني للألوسي ١٤/ ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) قوله: «بما يدرك من الطعم المر والبشع» عبارة غيره: طعم المر والبشع، ولعله المر البشع بدون واو (ع).

(٢) لكثير. والغمر: الكثير. وشبه العطاء بالرداء، لأنه يصون عرض صاحبه أو يستر فقر السائل، فاستعاره له على سبيل التصريحية وإضافة الغمر إليه تجريد، لأنه يلائم المشبه. هذا وقد يقال الغمر، يطلق على الماء الذي يغمر قامة المنغمس فيه، فيجوز أنه يشبه العطاء من حيث صونه عرض صاحبه بالرداء، فيكون استعارة مصرحة، وتكون إضافة الغمر إليه من إضافة المشبه به =

استعارة الرداء للمعروف؛ لأنه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقى عليه، ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف[1] والنوال، لا صفة الرداء، نظر إلى المستعار له.

والثاني: أن ينظروا فيه إلى المستعار؛ كقوله [من الوافر]:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْرٍو ... رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ
لِيَ الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي ... وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرِ[2]

أراد بردائه سيفه، ثم قال: فاعتجر منه بشطر، فنظر إلى المستعار في لفظ الاعتجار، ولو نظر إليه فيما نحن فيه لقيل: فكساهم لباس الجوع والخوف، ولقال كثير: ضافي الرداء إذا تبسم ضاحكاً، ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾: في حال/ ١٩٧أ التباسهم بالظلم؛ كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: ٢٨]، نعوذ بالله من مفاجأة النقمة والموت على الغفلة، وقرئ: (والخوف): عطفاً على اللباس، أو على تقدير حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، أصله: ولباس الخوف، وقرئ: «لباس الخوف والجوع».

﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما أوتيت به من كفرها: وسوء صنيعها، وصل

= للمشبه، بجامع عموم كل ونفعه، والقرينة على كل ذلك قوله: إذا تبسم. شارعاً في الضحك. غلقت لضحكته رقاب المال: يقال: غلق الرجل إذا ضجر وغضب، وغلق الرهن إذا ملكه المرتهن ولم يقدر صاحبه على فكه، وكانت تلك عادتهم. فالمعنى: إذا ضحك غضبت الأموال لعلمها أنها ستؤخذ ويملكها غيره، أو ثبتت في أيدي السائلين وملوكها. ورقاب المال: مجاز مرسل، أي أعيانه.

ينظر: ديوانه ص ٢٨٨، ولسان العرب (غمر) (ضحك) (ردى)، وتهذيب اللغة ٨/ ١٢٨.

(١) قوله: «ووصفه بالغمر الذي هو وصف المعروف» في الصحاح الغمر الماء الكثير. وفيه «الاعتجار» لف العمامة على الرأس، وفيه «الضافي» السابغ (ع).

(٢) استعار المنازعة لتسببه في امتداد السيف إليه حتى توسط بينهما، كالشيء يتجاذبه اثنان. واستعار الرداء للسيف بجامع حفظ كل لصاحبه وعدم الاستغناء عنه. والاعتجار ترشيح، ومعناه: التعمم أو التلفع، فهو ملائم للرداء. ويحتمل أن التركيب كله من باب التمثيل. وعبد عمرو: فاعل. ورويدك: اسم فعل، بمعنى أمهل، والكاف حرف خطاب، قاله الجوهري. وبالنظر لأصله فهو مصدر، والكاف مضاف إليه، وفيه التفات. وبكر: أبو قبيلة. والشطر الذي ملكته يمينه: هو مقبض السيف. ودونك: اسم فعل بمعنى خذ، أي خذه فتلفع منه بالشطر الآخر وهو صدره، والأمر للإباحة، وفيه نوع تهكم.

بذلك بالفاء في قوله: ﴿فَكُلُوا﴾: صدّهم عن أفعال الجاهلية، ومذاهبهم الفاسدة التي كانوا عليها، بأن أمرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب، وشكر إنعامه بذلك، وقال: ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ يعني: تطيعون، أو: إن صحّ زعمكم أنكم تعبدون الله بعبادة الآلهة؛ لأنها شفعاؤكم عنده، ثم عدد عليهم محرمات الله، ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم، دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾﴾

وانتصاب ﴿الْكَذِبَ﴾: بلا تقولوا، على: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة في قولكم: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٩]، من غير استناد ذلك الوصف إلى وحي من الله أو إلى قياس مستند إليه، واللام مثلها في قولك: ولا تقولوا لما أحل الله هو حرام، وقوله: ﴿هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ﴾: بدل من الكذب، ويجوز أن يتعلق بـ «تصف» على إرادة القول، أي: ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم، فتقول هذا حلال وهذا حرام، ولك أن تنصب الكذب بـ «تصف»، وتجعل «ما»: مصدرية، وتعلق: (هذا حلال وهذا حرام): بلا تقولوا، على: ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب، أي: لا تحرموا ولا تحللوا لأجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول في أفواهكم، لا لأجل حجة وبينة؛ ولكن قول ساذج ودعوى فارغة.

فإن قلت: ما معنى وصف ألسنتهم الكذب؟

قلت: هو من فصيح الكلام وبليغه، جعل قولهم كأنه عين الكذب ومحضه، فإذا نطقت به ألسنتهم، فقد حلت الكذب بحليته وصوّرته بصورته؛ كقولهم: وجهها يصف الجمال، وعينها تصف السحر، وقرئ: (الكذب): بالجرّ صفة لما المصدرية، كأنه قيل: لوصفها الكذب، بمعنى: الكاذب؛ كقوله تعالى: (بدم كذب)، والمراد بالوصف: وصفها البهائم بالحل والحرمة، وقرئ: (الكذب): جمع كذوب بالرفع؛ صفة للألسنة، وبالنصب على الشتم، أو بمعنى: الكلم الكواذب، أو هو جمع الكذاب من قولك: كذب كذاباً: ذكره ابن جني، واللام في ﴿لِّتَفْتَرُوا﴾: من التعليل الذي لا يتضمن معنى الغرض، ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾: خبر مبتدأ محذوف، أي: منفعتهم فيما هم عليه من أفعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾

﴿مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ يعني: في سورة الأنعام.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾﴾

﴿بِجَهَالَةٍ﴾: في موضع الحال، أي: عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله وبعقابه، أو غير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم، ﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾: من بعد التوبة.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾

﴿كَانَ أُمَّةً﴾: فيه وجهان:

أحدهما: أنه كان وحده أمّة من الأمم[1]؛ لكماله في جميع صفات الخير؛ كقوله [من السريع]

لَيْسَ عَلَى اللهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدِ[2]

وعن مجاهد: كان مؤمناً وحده والناس كلهم كفار.

والثاني: أن يكون أمّة بمعنى: مأموم، أي: يؤمّه الناس ليأخذوا منه الخير، أو بمعنى: مؤتمر به كالرحلة[3] والنخبة، وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى: مفعول،

---

(١) قال محمود: «في قوله أمة وجهان، أحدهما: أنه كان وحده أمة من الأمم... إلخ» قال أحمد: ويقوي هذا الثاني قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ أي كان أمة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات ويقتفوا بآثاره المباركات، حتى أنت على جلالة قدرك قد أوحينا إليك أن اتبع ملته ووافق سيرته، والله أعلم.

(٢) قولا لهرون إمام الهدى عند احتفال المجلس الحاشد
أنت على ما بك من قدرة فلست مثل الفضل بالوجد
ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

لأبي نواس يعطف هرون الرشيد على الفضل البرمكي حين توعده بالقتل، غيرة منه لما سمع من نهايته في الكرم، وخاطب الاثنين تأسياً بعادة العرب، والاحتفال: الاجتماع. والحاشد الجامع، وعلى بمعنى مع. أي: أنت مع كونك في غاية الاقتدار لست واجداً مثل الفضل في العالم كله، ودخلت الفاء في خبر المبتدأ لما فيه خبره من رائحة الشرط، أي: وإن كنت قادراً، ودخلت الباء في خبر ليس لتوكيد النفي، واستدل على ذلك بقوله: ليس مستنكراً على الله جمعه خصال العالم كلها في رجل واحد كالفضل، هذا ما يتبادر منه ظاهر النظم، لكنه خلاف مقتضى مقام الاستعطاف، فالمعنى فلا يكن منك غيرة من الفضل، فإن كرمه بعض صفاتك، فإن الله قادر على جمع صفات العالم كلها فيك، وقد فعل. ويروى: من الله بدل على الله. ويروى: بمستبدع، بدل بمستنكر. ينظر ديوانه (١/٣٤٩)، وشرح قطر الندى ص ١١٤.

(٣) قوله: «كالرحلة» في الصحاح «الرحلة» بالضم: الوجه الذي تريده، وبالكسر: الارتحال (ع).

فيكون مثل قوله: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وروى الشعبي عن فروة بن نوفل الأشجعي عن ابن مسعود أنه قال: إنّ معاذاً كان أمّة قانتاً لله، فقلت: غلطت؛ إنما هو إبراهيم، فقال: الأمّة: الذي يعلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله، وكان معاذ كذلك (٨٤١)، وعن عمر ـ رضي الله عنه ـ أنه قال ـ حين قيل له: ألا تستخلف؟ ـ: لو كان أبو عبيدة حيًّا لاستخلفته، ولو كان معاذ حيًّا لاستخلفته، ولو كان سالم حيًّا لاستخلفته؛ فإني سمعت رسول الله ـ صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ـ يقول: «أَبُو عُبَيْدَةَ أَمِينُ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَمعَاذُ أُمَّةٌ قَانَتٌ لله، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ إلا المُرْسَلُونَ، وَسَالِمٌ شَدِيدُ الحُبِّ لله، لَوْ كَانَ لاَ يَخَافُ اللهَ لَمْ يَعْصِهِ» (٨٤٢)، وهو ذلك المعنى، أي: كان

---

٨٤١ ـ أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٣٦٠)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٦١) (٢١٩٨٤)، والحاكم في مستدركه (٣/ ٢٧٢)، والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٠ ـ ٧١) (٩٩٤٣ و٩٩٤٤) من طرق عن فراس عن الشعبي عن مسروق قال: قرئت عند ابن مسعود ﴿إن إبراهيم كان...﴾
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
قلت: وفراس هو ابن يحيى أبو يحيى الخارفي الكوفي المُكْتِب، وثقه أحمد، ويحيى بن معين، والنّسائي، والعجلي وآخرون. وقال علي ابن المديني عن يحيى بن سعيد القطان: ما أنكرت من حديثه إلا حديث الاستبراء... واحتج به الجماعة وحديثه في الاستبراء لم يخرجه الشيخان. راجع تهذيب الكمال (٢٣/ ١٥٢) (٤٧١٢) وأخرجه أيضاً الحاكم (٣/ ٢٧١ ـ ٢٧٢)، والطبراني في الكبير (١٠/ ٧٢) (٩٩٤٧)، وابن جرير الطبري في تفسيره (٧/ ٦٦٠) (٢١٩٧٢)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٣٠)، من طريق إسماعيل بن علية عن منصور بن عبد الرحمن عن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود: إن معاذاً كان أمة... وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ٥٢)... رواه الطبراني بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
أخرجه الطبراني والحاكم وأبو نعيم في الحلية، من رواية علية عن منصور عن عبد الرحمن عن الشعبي حدثني فروة بن نوفل الأشجعي قال: قال ابن مسعود، فذكره. لكن ليس فيه: فقلت له: «غلطت» بل فيه فقيل له: إن إبراهيم. وفيه: «وكان معاذ بن جبل يعلم الناس الخير. وكان مطيعاً لله ورسوله»، ورواه الحاكم أيضاً من رواية شعبة عن فراس، عن الشعبي، عن مسروق، عن عبد الله قال: «إن معاذاً كان أمة قانتاً لله» فقال رجل من أشجع يقال له: فروة بن نوفل: إنما ذاك إبراهيم. فقال عبد الله: إنا كنا نشبهه بإبراهيم ـ الحديث» وأخرجه عبد الرزاق. ومن طريق الحاكم قال: أخبرنا الثوري عن فراس نحوه. انتهى.
٨٤٢ ـ بيض له الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٠)، وقال ابن حجر: لم أجده. قلت: وبعض فقرات الحديث صحيحة. قوله: «أبو عبيدة أمين هذه الأمة».
أخرجه البخاري (٧/ ١١٦) كتاب فضائل الصحابة باب مناقب أبي عبيدة حديث (٣٧٤٤) وفي (٧/ ٦٩٦) كتاب المغازي: باب قصة أهل نجران حديث (٤٣٨٢) وفي (١٣/ ٢٤٥) كتاب أخبار الآحاد: باب ما جاء في إجازة خبر الواحد... حديث (٧٢٥٥)، ومسلم (٤/ ١٨٨١) كتاب فضائل الصحابة: باب فضل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٥٣/ ٢٤١٩)، والتّرمذي (٥/ ٦٦٥) كتاب =

إماماً في الدين؛ لأنّ الأئمة معلمو الخير، والقانت: القائم بما أمره الله، والحنيف: المائل إلى ملة الإسلام غير الزائل عنه، ونفي عنه الشرك؛ تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم، ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾: روي أنه كان لا يتغدّى إلا مع ضيف، فلم يجد ذات يوم ضيفاً، فأخر غداءه، فإذا هو بفوج من الملائكة في صورة البشر، فدعاهم إلى الطعام فخيلوا له أنّ بهم جذاماً؟ فقال: الآن وجبت مواكلتكم شكراً لله على أنه عافاني وابتلاكم، ﴿اجْتَبَاهُ﴾: اختصه واصطفاه للنبوّة، ﴿وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: إلى ملة الإسلام، ﴿حَسَنَةً﴾: عن قتادة: هي تنويه الله بذكره، حتى ليس من أهل دين إلا وهم يتولونه، وقيل: الأموال والأولاد، وقيل: قول المصلي منا: كما صليت على إبراهيم، ﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾: لمن أهل الجنة.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾﴾

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾: في «ثم»: هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله[1] ﷺ وإجلال محله، والإيذان بأنّ أشرف ما أوتي خليل الله إبراهيم من الكرامة، وأجلّ ما أولي من النعمة: اتباع رسول الله ﷺ ملته، من قبل أنها دلت على تباعد هذا النعت في المرتبة من بين سائر النعوت التي أثنى الله عليه بها.

= المناقب: باب مناقب معاذ بن جبل... حديث (٣٧٩١)، وأحمد (٣/ ١٣٣، ١٨٩، ٢٤٥، ٢٨١)، وأبو يعلى (٥/ ١٩٠) رقم (٢٨٠٨)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ١/ ٢٩٩)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ١٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (٧/ ٢١٤ ـ بتحقيقنا) كلهم من طريق خالد الحذاء عن أبي قلابة عن أنس مرفوعاً بلفظ: «لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة ابن الجراح» وقال التّرمذي: حسن صحيح.

وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٨١) كتاب فضائل الصحابة باب فضائل أبي عبيدة بن الجراح حديث (٥٤/ ٢٤١٩) وأحمد (٣/ ١٢٥، ١٤٦، ١٧٥، ٢١٢، ٢٨٦) من طريق حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس به.

قال الحافظ: لم أجده. انتهى.

---

(١) عاد كلامه. قال محمود: «وفي ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد ﷺ... إلخ» قال أحمد: وإنما تفيد ذلك ثم لأنها في أصل وضعها لتراخي المعطوف عليه في الزمان، ثم استعملت في تراخيه عنه في علو المرتبة بحيث يكون المعطوف أعلى رتبة وأشمخ محلا مما عطف عليه، فكأنه بعد أن عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى: وههنا ما هو أعلى من ذلك كله قدراً وأرفع رتبة وأبعد رفعة، وهو أن النبي الأمي الذي هو سيد البشر متبع لملة إبراهيم، مأمور باتباعه بالوحي، متلو أمره بذلك في القرآن العظيم. ففي ذلك تعظيم لهما جميعاً، لكن نصيب النبي ﷺ من هذا التعظيم أوفر وأكبر على ما مهدناه، والله الموفق للصواب.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾﴾

﴿ٱلسَّبْتُ﴾: مصدر سبتت اليهود إذا عظمت سبتها، والمعنى: إنما جعل وبال السبت وهو المسخ ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾: واختلافهم فيه أنهم أحلوا الصيد فيه تارة وحرّموه تارة، وكان الواجب عليهم أن يتفقوا في تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه، والمعنى في ذكر ذلك، نحو المعنى في ضرب القرية التي كفرت بأنعم الله مثلاً،/ ١٩٧ب وغير ما ذكر، وهو الإنذار من سخط الله على العصاة والمخالفين لأوامره والخالعين ربقة طاعته.

فإن قلت: ما معنى الحكم بينهم إذا كانوا جميعاً محلين أو محرّمين؟

قلت: معناه: أنه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم في كونهم محلين تارة ومحرّمين أخرى، ووجه آخر: وهو أنّ موسى ـ عليه السلام ـ أمرهم أن يجعلوا في الأسبوع يوماً للعبادة وأن يكون يوم الجمعة، فأبوا عليه وقالوا: نريد اليوم الذي فرغ الله فيه من خلق السموات والأرض وهو السبت، إلا شرذمة منهم قد رضوا بالجمعة، فهذا اختلافهم في السبت؛ لأن بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة، فأذن الله لهم في السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه، فأطاع أمر الله الراضون بالجمعة، فكانوا لا يصيدون فيه، وأعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون أولئك، وهو يحكم ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾: فيجازي كل واحد من الفريقين بما يستوجبه، ومعنى: «جعل السبت»: فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه، وقرئ: «إنما جعل السبت»: على البناء للفاعل، وقرأ عبد الله: «إنا أنزلنا السبت».

﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾

﴿إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ﴾: إلى الإسلام، ﴿بِٱلْحِكْمَةِ﴾: بالمقالة المحكمة الصحيحة؛ وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة، ﴿وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾: وهي التي لا يخفى عليهم أنك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يريد القرآن، أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة، ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، من غير فظاظة ولا تعنيف، ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾: بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة، ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل، وكأنك تضرب منه في حديد بارد.

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾

سمي الفعل الأول باسم الثاني للمزاوجة، والمعنى: إن صنع بكم صنيع سوء من قتل أو نحوه، فقابلوه بمثله، ولا تزيدوا عليه، وقرئ: «وإن عقبتم فعقبوا» أي: وإن قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم، روي أن المشركين مثلوا بالمسلمين يوم أحد: بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم، ما تركوا أحداً غير ممثول به إلا حنظلة بن الراهب، فوقف رسول الله ﷺ على حمزة وقد مثل به، وروي: فرآه مبقور البطن فقال: «أما والذي أحلف به، لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين مكانك» (٨٤٣)؛ فنزلت، فكفر عن يمينه وكفّ

---

٨٤٣ ـ قال الزيلعي في تخريج الكشاف (٢/ ٢٥٠) (٦٨٨): غريب بهذا اللفظ وذكره الثعلبي هكذا من غير سند.

قلت: وقصة حمزة وردت عن:

ـ أبي هريرة:

أخرجه ابن سعد في الطبقات (٣/ ٩)، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٢٨٨)، كلهم من طريق صالح المري عن سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن أبي هريرة، وسكت عنه الحاكم: وقال الذهبي صالح واه، وذكره الهيثمي في «المجمع» (٦/ ١٢٢) وقال: رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف».

قلت: وتحرف في المطبوع من «المجمع» «صالح بن بشير المري» إلى «صالح بن بشير المزني» والصحيح ما أثبتناه. والله المستعان.

والحديث عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٥٥) وابن المنذر وابن مردويه.

ـ عبد الله بن عباس:

أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ١١٨) من حديث إسماعيل بن عياش عن عبد الملك بن أبي عتبة أو غيره عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس... فذكره، والحاكم في المستدرك (٣/ ١٩٧ ـ ١٩٨) من طريق أبي بكر بن عباس عن يزيد بن أبي زياد عن مقسم عن ابن عباس به، وسكت عنه الحاكم ـ وقال الذهبي: سمعه أبو بكر بن عياش من يزيد وليسا بمعتمدين. وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٦٢) (١١٠٥٠ و ١١٠٥١) من طريقين عن الحكم بن عتيبة عن مجاهد عن ابن عباس به.

قلت: وكلا الطريقين عند الطبراني فيهما ضعف.

وقال الحافظ في تخريج الكشاف:

أخرجه الثعلبي بغير سند. وقصة حمزة أخرجها البزار والطبراني من رواية سليمان التيمي عن ابن عثمان عن أبي هريرة: «أن النبي ﷺ نظر يوم أحد إلى حمزة وقد قُتل ومُثل به، فرأى منظراً لم يرَ قط أوجع لقلبه منه، وذكر باقي الحديث أتم مما ذكره هنا ورواية صالح سهو عن سليمان، وصالح ضعيف، وله طريق أخرى أخرجها الدارقطني من رواية إسماعيل بن عباس قال: «لما انصرف =

عما أراده، ولا خلاف في تحريم المثلة، وقد وردت الأخبار بالنهي عنها (٨٤٤) حتى

= المشركون عن قتلي أُحد فرأى رسول الله ﷺ بعمه حمزة منظراً أساءه، وقد شق بطنه واصطلم أنفه ـ فذكر القصة ـ فيها: لأمثلن مكانه بسبعين رجلاً. وذكر الصلاة عليه وعلى القتلى. قال: فلما دفنوا وفرغ منهم نزلت (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة ـ الآية) فصبر ولم يمثل بأحد» قال الدارقطني: تفرد به إسماعيل وهو ضعيف عن غير الشاميين. قلت: وأما أول الكلام فذكره. انتهى.

٨٤٤ ـ ورد من حديث جماعة منهم: عمران بن الحصين، سمرة بن جُندب، وعبد الله بن عمر وعبد الله ابن يزيد الأنصاري وأنس وبريدة والمغيرة بن شعبة وأسماء بنت أبي بكر وعلي بن أبي طالب وابن عباس وصفوان بن عسال وجرير بن عبد الله البجلي وأبو موسى الأشعري وأبو أيوب الأنصاري وزيد بن خالد الجهني ويَعلى بن مرة والحكم بن عمير وعائذ بن قرط وعمر بن الخطاب.

ـ أما حديث عمران:

أخرجه أبو داود الطيالسي (ص ١١٢) حديث (٨٣٦) والخطيب في التاريخ (٧/ ٣٠٧) من طريق الحسن عن عمران بن حصين قال: «قلما خطبنا رسول الله ﷺ خطبة إلا أمرنا فيها بالصدقة ونهانا عن المثلة» وقال: إن من المثلة أن ينذر أن يخرم أنفه ومن المثلة أن ينذر أن يحج ماشياً، فإذا نذر أحدكم أن يحج ماشياً فليهد هدياً وليركب. وهذا الإسناد منقطع. الحسن لم يسمع هذا الحديث من عمران وأخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٤٢٣): كتاب الديات ـ باب المثلة في القتل حديث (٧٩٨٤) وأحمد (٤/ ٤٢٨) والبخاري في التاريخ الكبير (٨/ ٢٤٢) وأبو داود (٣/ ١٢٠) كتاب الجهاد ـ باب في النهي عن المثلة ـ حديث (٢٦٦٧) والبيهقي (٩/ ٦٩) كتاب السير ـ باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق دون المثلة. كلهم من رواية قتادة عن الحسن عن الهياج بن عمران عن عمران بن حصين قال: «كان رسول الله ﷺ يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة. واللفظ لأبي داود وقال أحمد: كان يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة.

ـ وحديث سمرة:

أخرجه أحمد (٥/ ١٢، ٢٠) وأبو داود (٣/ ١٢٠)، كتاب الجهاد باب في النهي عن المثلة حديث (٢٦٦٧) والبيهقي (٩/ ٦٩) من قتادة عن الحسن عن الهياج بن عمران البرجمي أن عمران أبق له غلام فجعل لله عليه لئن قدر عليه ليقطعنَّ يده فأرسلني لأسأل له فأتيت سمرة بن جندب فسألته فقال: «كان رسول الله يحثنا على الصدقة وينهانا عن المثلة» فأتيت عمران بن حصين فسألته فقال مثل ذلك.

ـ وحديث ابن عمر:

أخرجه أحمد (٢/ ١٣، ١٠٣) والبخاري (٩/ ٦٤٣) كتاب الذبائح والصيد باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة حديث (٥٥١٥) والحاكم (٤/ ٢٣٤): كتاب الذبائح ـ باب النهي عن مثلة الحيوان. والبيهقي (٩/ ٨٧): كتاب السير ـ باب تحريم قتل ماله روح إلا بأن يذبح فيؤكل. من طريق سعيد بن جبير عن ابن عمر قال: «لعن رسول الله ﷺ من مثل الحيوان».

وقال الحاكم صحيح على شرط الشيخين يخرجاه بهذه السياقة ووهم في ذلك فإنه عند البخاري بهذا اللفظ.

ـ وحديث عبد الله بن يزيد:

أخرجه البخاري (٩/ ٦٤٣)، كتاب الذبائح والصيد ـ باب ما يكره من المثلة والمصبورة والمجثمة ـ حديث (٥٥١٦) والبيهقي (٩/ ٦٩) كتاب السير ـ باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق =

بالكلب العقور، إما أن رجع الضمير في ﴿فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ﴾ إلى صبرهم وهو مصدر

= دون المثلة وأحمد (٤/٣٠٧) عنه «أن رسول الله ﷺ نهى عن النهبة والمثلة».

ـ حديث أنس:

أخرجه النَّسائي (٧/١٠١) كتاب تحريم الدم ـ باب النهي عن المثلة. من طريق عبد الصمد ثنا هشام عن قتادة عن أنس قال: كان رسول الله ﷺ يحث في خطبته على الصدقة وينهى عن المثلة» ورواه أبو داود (٤/ ٥٣٥) كتاب الحدود ـ باب ما جاء في المحاربة حديث (٤٣٦٨) والبيهقي (٩/ ٦٩) كتاب السير ـ باب قتل المشركين بعد الأسار. . من رواية ابن أبي عدي عن هشام عن قتادة عن أنس في قصة العرنيين وقال في آخره (ثم نهى عن المثلة).

ورواه البخاري (٧/٤٥٨): كتاب المغازي ـ باب قصة عكل وعرينة حديث (٤١٩٢) طريق يزيد بن زريع ثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بالقصة وفي آخره قال قتادة «وبلغنا أن النبي ﷺ بعد ذلك كان يحث على الصدقة وينهى عن المثلة».

قال الحافظ في الفتح (٧/٤٥٨، ٤٥٩) وتبين بهذا أن في الحديث الذي أخرجه النَّسائي من طريق عبد الصمد بن عبد الوارث عن هشام عن قتادة عن أنس إدراجاً وأن هذا القدر من الحديث لم يسنده قتادة عن أنس وإنما ذكره بلاغاً ولما نشط لذكر إسناده ساقه بوسائط إلى النبي ﷺ.

ـ حديث بريدة:

أخرجه أحمد (٥/٣٥٨) ومسلم (٣/١٣٥٧): كتاب الجهاد. باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث حديث (٣/ ١٧٣١) وأبو داود (٣/ ٨٣): كتاب الجهاد ـ باب في دعاء المشركين حديث (١٦١٢) والتِّرمذي (٣/ ٨٥) كتاب السير. باب ما جاء في وصية النبي ﷺ في القتال حديث (١٦٦٦). وابن ماجه (٢/ ٩٥٣): كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام ـ حديث (٢٨٥٨) والبيهقي (٩/ ٦٩): كتاب السير ـ باب قتل المشركين بعد الأسار بضرب الأعناق دون المثلة. عنه قال «كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: اغزوا بسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً»

وقال التِّرمذي حسن صحيح.

ـ حديث المغيرة:

أخرجه ابن أبي شيبة (٩/ ٤٢١): كتاب الديات ـ باب المثلة في القتل ـ حديث (٧٩٧٩) وأحمد (٤/ ٢٤٦) والطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٨) عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ عن المثلة».

ـ حديث أسماء بنت أبي بكر:

أخرجه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٥٢) عنها قالت: «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة».

وقال الهيثمي ورجاله ثقات

ـ وحديث علي:

رواه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٥٢) ولفظه «سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن المثلة ولو بالكلب العقور». وقال الهيثمي: رواه الطبراني وإسناده منقطع.

وحديث ابن عباس تقدم.

ـ وحديث صفوان بن عسال:

أخرجه أحمد (٤/ ٢٤٠) وابن ماجه (٢/ ٩٥٣): كتاب الجهاد ـ باب وصية الإمام ـ حديث (٢٨٥٧). =

صبرتم، ويراد بالصابرين: المخاطبون، أي: ولئن صبرتم لصبركم خير لكم، فوضع

= من طريق عبيد الله بن خليفة عن صفوان بن عسال قال: بعثنا رسول الله ﷺ في سرية فقال: سيروا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله ولا تمثلوا ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليداً».
وذكره البوصيري في «الزوائد» (٢/ ٤٢١) وقال: هذا إسناد حسن.
ـ حديث جرير:
أخرجه أبو يَعلى (١٣/ ٤٩٣ ـ ٤٩٤) رقم (٧٥٠٥) والطبراني في الكبير (٢/ ٢١٣) رقم (٢٣٠٤) وفي الصغير (١/ ٤٤ ـ ٤٥) من طريق ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن شقيق بن سلمة عن جرير بن عبد الله البجلي قال: كان النبي ﷺ إذا بعث سرية قال: باسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تحثلوا ولا تقتلوا الولدان.
قال الطبراني: لا يروى عن جرير إلا بهذا الإسناد تفرد به ابن لهيعة.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٠) وقال: رواه أبو يَعلى والطبراني في الثلاثة وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات وله طريق في «الكبير» ضعيفه ا.هـ قلت: وهذا الطريق أخرجه الطبراني في الكبير (٢٣٠٥) وفيه عبد الغفار بن القاسم أبو مريم وهو متروك.
والحديث ذكره الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٢/ ١٥٠) رقم (٩٦٠) وعزاه إلى أبي يَعلى. وقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١٥١ ـ ١٥٢) رقم (١٩٤٨): سألت أبي عن حديث رواه أبو هارون البكاء عن ابن لهيعة عن عبد ربه بن سعيد عن سلمة بن كهيل عن شقيق بن سلمة عن جرير قال: كان رسول الله ﷺ إذا بايع بايع على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والسمع والطاعة لله ولرسوله والنصح لكل مسلم وإذا بعث سرية قال بسم الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا الولدان. قال أبي ليس لهذا الحديث أصل بالعراق وهو حديث منكر.
وحديث أبي موسى الأشعري.
أخرجه البزار (٢/ ٢٦٧) رقم (١٦٧٤) والطبراني في «الصغير» (١/ ١٨٧) من طريق أحمد بن عثمان ابن حكيم الأودي ثنا عثمان بن سعيد المري ثنا إسرائيل عن أبي إسحق عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال: كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية قال: اغزوا باسم الله وفي سبيل الله قاتلوا من كفر بالله لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ولا شيخاً كبيراً. وقال الطبراني: لم يروه عن أبي إسحق إلا إسرائيل ولا عنه إلا عثمان تفرد به أحمد بن عثمان بن حكيم.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣٢٠) وقال: رواه البزار والطبراني في الصغير والكبير ورجال البزار رجال الصحيح غير عثمان بن سعيد المسري وهو ثقة.
ـ حديث أبي أيوب:
أخرجه الطبراني كما في المجمع (٦/ ٢٥٣) من حديث يعقوب بن إسحاق الحضرمي ثنا شعبة بن عدي بن ثابت عن عبد الله بن يزيد الخطمي عن أبي أيوب الأنصاري قال: «نهى رسول الله ﷺ عن النهبة والمثلة» وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.
ـ حديث زيد بن خالد:
أخرجه الطبراني كما في مجمع الزوائد (٦/ ٢٤٩) من رواية ابن أبي ذئب عن مولى الجهينة عن عبد الرحمن بن زيد بن خالد عن أبيه عن النبي ﷺ «أنه نهى عن النهبة والمثلة»
وقال الهيثيم: وفيه رواه لم يسم.
ـ حديث يَعلى بن مرة: =

الصابرون موضع الضمير؛ ثناء من الله عليهم بأنهم صابرون على الشدائد، أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم إذا صبروا عن المعاقبة، وإما أن يرجع إلى جنس الصبر ـ وقد دل عليه صبرتم ـ ويراد بالصابرين جنسهم، كأنه قيل: وللصبر خير للصابرين؛ ونحوه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]، ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٧]، ثم قال لرسوله ﷺ: ﴿وَاصْبِرْ وَاْ﴾: أنت فعزم عليه بالصبر، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ أي: بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك، ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: على الكافرين؛ كقوله: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٨]، أو على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون، ﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾، وقرئ: «ولا تكن في ضيق»، أي: ولا يضيقن صدرك من مكرهم، والضيق: تخفيف الضيق، أي: في أمر ضيق، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدرين، كالقيل والقول، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ﴾ أي: هو وليّ الذين اجتنبوا المعاصي، ﴿و﴾ ولي ﴿الذين هم محسنون﴾: في أعمالهم، وعن هرم بن حيان أنه قيل له حين احتضر: أوص، فقال: إنما الوصية من المال ولا مال لي، وأوصيكم بخواتم سورة النحل.

عن رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ لَمْ يُحَاسِبْهُ الله بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمِ تَلاهَا أَوْ لَيْلَته، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ كَالَّذِي مَاتَ وَأَحْسَنَ الوَصِيَّة» (٨٤٥).

= رواه أحمد (٤/ ١٧٣) قال: حدثنا عفان ثنا وهيب ثنا عطاء بن السائب عن يَعلى بن مرة النقعي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «قال الله عز وجل لا تمثلوا بعبادي».
ورواه الطبراني من هذا الوجه أيضاً من رواية عطاء بن السائب كما في المجمع (٦/ ٢٥١) وقال: عطاء بن السائب ،ختلط حديث الحكم بن عمير وعائذ بن قرط.
رواه الطبراني في الكبير عنهما قالا قال رسول الله ﷺ: «لا تمثلوا بشيء من خلق الله فيه الروح».
وقال الهيثمي (٦/ ٢٥٢): رواه الطبراني وفيه سليمان بن سلمة الخبائري وهو متروك.
ـ وحديث عمر:
رواه الطبراني في الصغير (١/ ٢٣٣): قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عيسى المعدي أبو عبد الرحمن ثنا عبد الله بن يزيد ثنا إسماعيل بن حكيم الخزاعي ثنا يونس بن عبيد عن الحسن عن عمران بن حصين قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خطبنا رسول الله ﷺ فأمرنا بالصدقة ونهانا عن المثلة» قال الطبراني لم يروه عن الحسن عن عمران عن عمر إلا يونس بن عبيد ولا عنه إلا إسماعيل تفرد به عبد الله بن عمر بن يزيد، ورواه هشيم وغيره عن يونس عن الحسن عن عمران فقط.
وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٢٥٢) رواه الطبراني في الصغير وفيه من لم أعرفه.
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
قلت روي ذلك عن جماعة من الصحابة.

٨٤٥ ـ ينظر حديث رقم (٣٤٦).
وقال الحافظ في تخريج الكشاف:
رواه الثعلبي وابن مردويه وقد تقدم سنده في آل عمران.